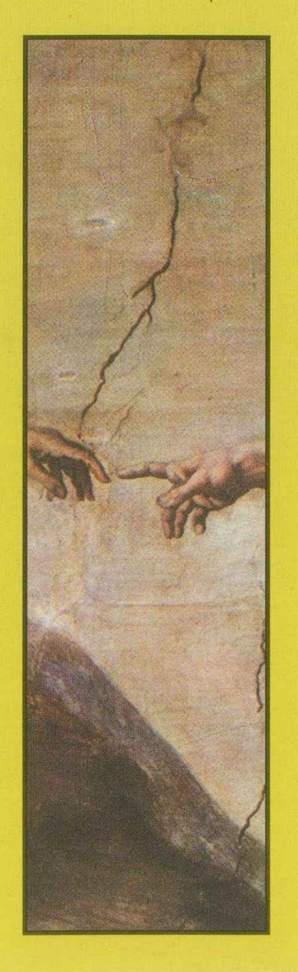
فريدريش هلدرلين

مختارات شعرية

ترجمة : حسن حلمي
تقديم : محمد بنيس







مختارات شعرية

فريدريش هلدرلين

مختارات شعرية

ترجمة : حسن حلمي
تقديم : محمد بنيس





tarjem@mbrfoundation.ae
www.mbrfoundation.ae



عمارة معهد التسيير التطبيقي، ساحة محطة القطار
بلفيدير، الدارالبيضاء 20300 - المغرب
الهاتف / الفاكس: 022.34.23.23 (212) - 022.40.40.38 (212)
الموقع: www.toubkal.ma - البريد الإلكتروني: contact@toubkal.ma

ثم نشر هذا الكتاب ضمن سلسلة
تجارب شعرية

الطبعة الاولى، 2009

الإيداع القانوني رقم : 2009/0304
ردمك 3-79-496-9954-978

رسالة مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم

عزيزي القارئ،

إن كان الحلم في حد ذاته أمراً مشروعاً، فإن الأكثر إلحاحاً في ظل التحديات التي تواجه واقعنا العربي هو العمل على تحويل الحلم إلى مشروع حقيقي على الأرض. وإذا كان العصر الذي نعيش فيه يتسم بالمعرفة والمعلوماتية والانفتاح على الآخر، فإن مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ترى إلى الترجمة باعتبارها جسراً لاستيعاب المعارف العالمية واللحاق بالعصر.

لقد عبّر صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي عن مدى الحاجة للتعامل العاجل مع مقتضيات العصر عندما قال: «إن أهم ما في الاقتصاد الجديد هو الفكرة التي تنفّذ في وقتها». وعليه فإن مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم تعتقد بحزم أن إحياء حركة الترجمة العربية، وجعلها محركاً فاعلاً من محركات التنمية واقتصاد المعرفة في الوطن العربي، هي فكرة حان وقتها، ولا يجوز تأخيرها.

فمتوسط ما تترجمه المؤسسات الثقافية ودور النشر العربية مجتمعة لا يتعدى كتاباً واحداً لكل مليون شخص في العام الواحد، بينما تنتج دول منفردة في العالم من حولنا أضعاف هذا الرقم.

في ظل هذه المعطيات أطلقت المؤسسة برنامج «ترجم»، بهدف إثراء المكتبة العربية بأفضل ما قدّمه الفكر العالمي من معارف وعلوم، عبر ترجمة تلك الأعمال إلى العربية. ومن أهداف البرنامج أيضاً العمل على إبراز الوجه الحضاري للأمة عبر ترجمة الإبداعات العربية إلى لغات العالم.

ومن التباشير الأولى لهذا البرنامج إطلاق خطة لترجمة ألف كتاب من اللغات العالمية إلى اللغة العربية في خلال ثلاث سنوات، أي بمعدل كتاب في اليوم الواحد. وما الكتاب الذي بين يديك، عزيزي القارئ، إلا دفقة في نهر معرفي نأمل أن يجري غزيراً ليروي الظمأ، ويسقي بساتين النهضة العلمية، وصولاً

إلى التنمية الشاملة في الوطن العربي.

إن مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم على ثقة بأن هذا الكتاب سيكون بمثابة خطوة إلى الأمام في سبيل تحقيق رسالتها الكلية، المتمثلة في تمكين الأجيال المقبلة من ابتكار وتطوير حلول مستدامة لمواجهة التحديات، عن طريق نشر المعرفة، ورعاية الأفكار النيّرة التي تقود إلى إبداعات حقيقية، بالإضافة إلى بناء جسور الحوار بين الشعوب والحضارات.

للمزيد من المعلومات عن برنامج «ترجم» والبرامج الأخرى لمؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، يرجى زيارة الموقع الإلكتروني: www.mbcfoundation.ae

مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم

عن المؤسسة

انطلقت مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم بمبادرة شخصية من صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، الذي خصص للمبادرة وفقاً قدره 37 مليار درهم(10 مليارات دولار). وجاء الإعلان عن تأسيسها في كلمة سموّه أمام المنتدى الاقتصادي العالمي في البحر الميت، الأردن في أيار/ مايو2007.

تهدف مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم إلى تمكين الأجيال الشابة في الوطن العربي من امتلاك المعرفة وتوظيفها لمواجهة تحديات التنمية، وابتكار حلول مستدامة نابعة من الواقع المحلي، للتعامل مع المشكلات التي تواجه مجتمعاتهم. ولتحقيق هذا الهدف، حدد سموه ثلاثة قطاعات استراتيجية لعمل المؤسسة، وهذه القطاعات هي : المعرفة والتعليم، والثقافة، وريادة الأعمال وفرص العمل.

فهرست

تقديم: محمد بنيس 13

من قصائد المرحلة الأولى 25

ديوتيما (1797) 26

أنبادوقليس 27

بونابرت 28

ديوتيما (1798) 29

إلى عبقريتها 30

ما لا يُغفَر 31

إلى الشعراء الشبان 32

إلى الألمان 33

إلى إله الشمس 34

غروب 35

إلى شعرائنا العظام 37

الوطن 38

فانيني 39

سقراط والسيبياديس........................ 40
حِكَم........................ 41
الإنسان........................ 42
أنشودة هايپيريون عن القدر........................ 46
[في أيام صباي ...]........................ 48
ذوو النزوات........................ 51
روح العصر........................ 53
في الصباح........................ 55
المَائِن........................ 57
[اغربي، إذن، أيتها الشمس الجميلة ...]........................ 60
نيكَار........................ 62
الوداع........................ 65
موعظة........................ 68
كانت الآلهة........................ 70
إلى ربَّات القدَر........................ 72
كَيَوْم عيد........................ 73
الوطن........................ 79
ڤلكان........................ 81
شجاعة الشاعر........................ 83

هلع.......... 85
النهر المغلول.......... 87
جنيميد.......... 89
الأرخبيل.......... 91
مرثاة منون لديوتيما.......... 109
المحبة.......... 119
خبز وخمر.......... 121
العودة إلى الوطن.......... 133
رسالة الشاعر.......... 141
أغنية تُنشد عند سفوح الألب.......... 146
الهجرة.......... 148
جرمانيا.......... 155
پّاتْـمُـوس(1803).......... 162
ذكرى.......... 169
إسْتِر.......... 173
نيموزيني.......... 178
[كما تشرد الطيور].......... 181
[مثل سواحل البحر].......... 182
[حين يخرج نسغ الكرمة].......... 183

[أتظن أنَّ ...]........ 184
النسر........ 186
تينيان........ 189
[لكن حين يفرغ الآلهة ...]........ 192
[على الورقة الشاحبة]........ 198
كَادح 199
المغني الأعمى........ 200
دمــوع 204
الوطن (1803) 206
منتصف العمر........ 208
الملجأ في هارتْ........ 209
عصور........ 210
الجدول الكتوم........ 211
من قصائد المرحلة الجنون 213
سيبيل........ 214
الشجرة........ 215
الكلام........ 216
[وأن تحس ...]........ 217
[انطلقنا من الهوة]........ 219

بلاد الإغريقI 221
بلاد الإغريقII 223
بلاد الإغريقIII 225
حياة الإنسان 228
الرب 229
أيام سقراط 230
إلى 232
في الغابة 233
شذرات 234
إلى تسيمر 245
إلى تسيمر 248
الصيف 249
الخريف 250
الشتاء 252
الربيع 253
[في الزرقة البديعة...] 254

تقـــديم

محمد بنيس

.1

«يمكنني بلا ريب أن أقول إن أبّولو صعقني». بهذه العبارة القريبة من الصرخة، وصف هلدرلين ما حدث له أثناء عودته، التي طالت مدتها بين ماي ويوليوز 1882، من بوردو إلى ستراسبورغ ومنها سيراً على الأقدام إلى نورتنغن Nürtingen . عبارة جاءت في رسالته الشهيرة، التي يصف فيها ذكرياته في فرنسا .وهي موجهة إلى صديقه بوهلندورفBöhlindorff في حوالي شهر نوفمبر من السنة ذاتها. لا تقف هذه العبارة عند تلخيص العلاقة التي كانت لهلدرلين مع إله الشعر لدى اليونان ومع الحضارة اليونانية ككل، بل تُعيّن، أكثر، طبيعةَ تجربته مع الشعر والشعري.

فريديريش هلدرلين أحد كبار الشعراء الألمان. فهو يمثل، إلى جانب كل من غوته وفريدريش نوفاليس وماريا رينيه ريلكه وجورج تراكل وغوتفريد بن، الصوت الشعري الألماني الأصفى. عاش بين 1770 و1843، معاصرا لكل من بيتهوفن وبونابرت. وقد اعتاد مؤرخو ونقاد شعره على تقسيم حياته إلى مرحلتين: ما قبل 1802 وما بعدها، إذ الفاصل بينهما هو سنة إصابته بما يعرف في الأدبيات الهلدرلينية بـ «الجنون».

.2

يمكن أن نلخص المرحلة الأولى في علامات. ولد هلدرلين في لاوْفن Lauffen، على ضفة نهر نيكار، وفي الثانية من عمره فقد أباه. تزوجت أمه بعد سنتين من المستشار غورك عمدة مدينة نوتنغن، فأقام معها. وفي الرابعة عشرة بدأ في كتابة الشعر. التحق سنة 1788 بجامعة توبنغن، Tübingen التي حصل فيها بعد خمس سنوات على الماجستر في علم اللاهوت. في 1791 أصبح صديقا لهيجل وشيلينج، وتعرف كذلك على شعراء أسس معهم «عصبة الشعراء»، وعلى سانكلير Sinclair، الذي ظل وفيا له في سنوات مرضه. تحمس في هذه الفترة مع أصدقائه لكانت وروسو والثورة الفرنسية، وفيها قرأ أفلاطون وتأكدت موهبته الشعرية ونشر قصائده لأول مرة. بحث عن العمل مؤدباً للأطفال، عكس ما كانت ترغب فيه أمه للالتحاق بالعمل في الكنيسة. تسلّم أول وظيفة له في 1793، وفي نوفمبر 1794 اتجه نحو فيمار، ثم ترك الوظيفة استقر في يينا Iéna العاصمة الثقافية، ساعياً إلى تكريس حياته للشعر، وتعرف فيها على شيلر لإعجابه الشديد به. وفي1795 تابع محاضرات الفيلسوف فخته، التي كان يلقيها في «بيت الرومانسيين». وعندما أصبح محتاجاً، بدون مورد مادي، عاد إلى بيت أمه، وفي نفسه خشية من العمل في الكنيسة.

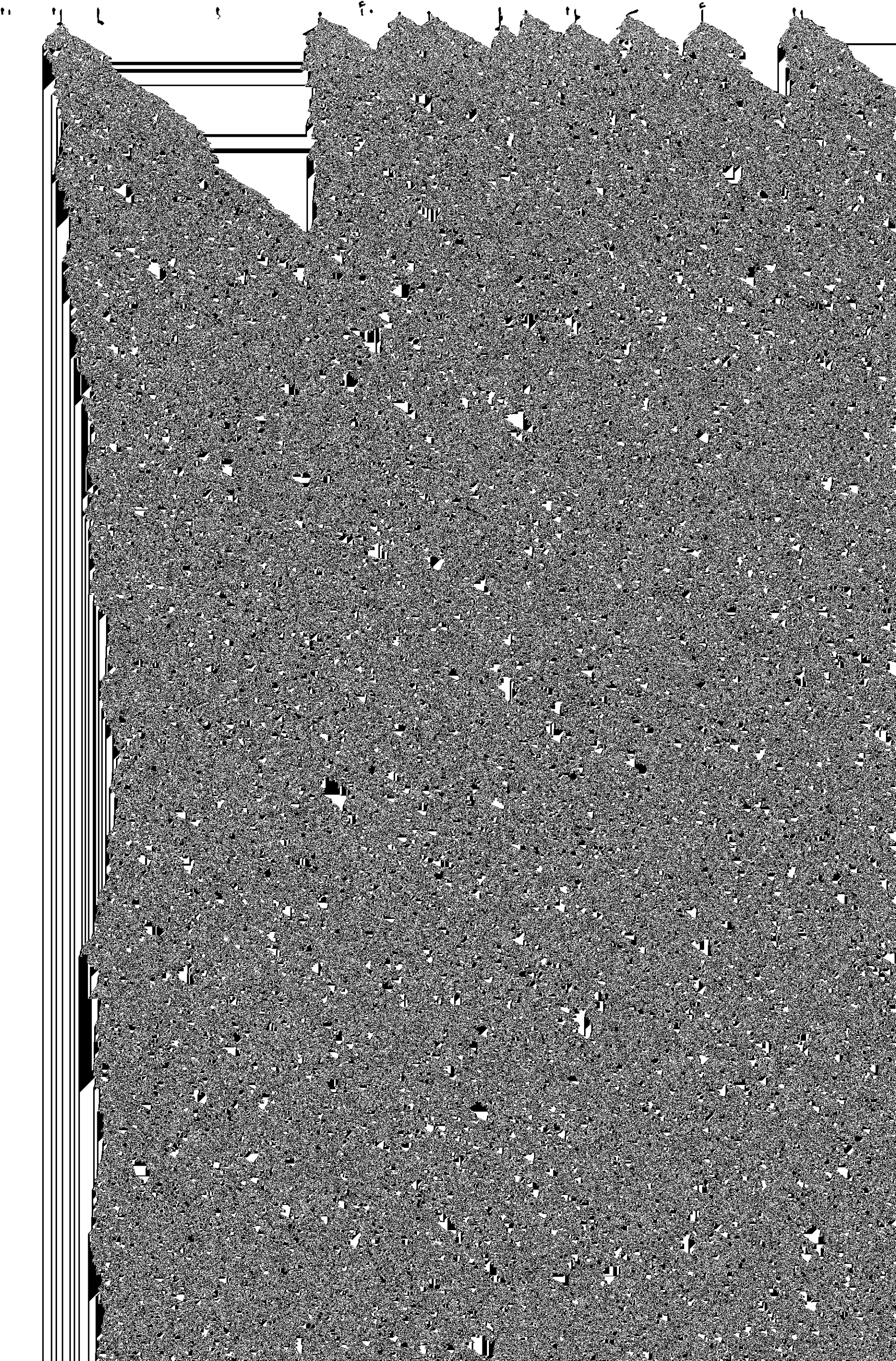
في السادسة والعشرين من عمره، أي سنة 1796، عثر له صديقه سانكلير على عمل في بيت الثري جاكوب غونتار، في فرنكفورت الذي عمل مؤدباً لأبنائه. في بيت عائلة غونتار عاش إحدى الوقائع الفارقة في حياته، عندما استبد به حب سوزيت غونتار Suzette Gontard، زوجة الثري جاكوب غونتار، التي بادلته الحب. حب لا يشبه ما سبق. هو هذه المرة حب جامح، عثر فيه هلدرلين على الأقصى، ولم يقدر على رد تأثيره القوي في مسار حياته. فجمال هذه المرأة جسّد مثال الجمال اليوناني، الذي كان به مأخوذاً، فكتب عنها «إنها يونانية». كان حذراً معها، ففضل في نهاية سبتمبر 1798 مغادرة البيت، ابتعاداً عما يمكن أن يؤدي إليه هذا الارتباط من

مصاعب مع الزوج. مع ذلك ظل على اتصال معها عبر لقاءات ومراسلات ما زالت محفوظة، وكان آخر تواصل بينهما في 1800. ومن فعْل ذلك الحب الجامح سماها هلدرلين في أعماله باسم «ديوتيما» Diotima، كاسم مستعار لهذه العشيقة سوزيت، التي توفيت سنة 1802. وقد رأى في فقدان عشيقته وحرمانه منها أن «المثال لا يمكن أن يعيش على الأرض».

بين 1797 و 1979 نشر رواية في جزأين تحمل عنوان **هيبريون** *Hypérion*، اسم إله الضوء. أول عمل تبرز فيه نظرته إلى اليونان. هيبريون يوناني معاصر ولكن روحه قديمة. تحكي الرواية عن هذا البطل، في 1770، فترة إعلان روسيا الحرب على تركيا، فكان في الرواية يحث اليونانيين على التحرر من الأتراك. جمع متطوعين، وعندما دخلوا إسبرطة لم يتوان المتطوعون عن القتل والنهب فدنسوا بذلك انتصارهم. من ثم أيقن هيبريون أن الذين عمل معهم على تأسيس جمهوريته ليسوا إلا أوباشاً.

وبعد مغادرته بيت غونتار توجه إلى بيت صديقه سانكلير في هامبورغ. هناك عمل لمدة سنتين، من 1798 إلى 1800، بتركيز ثقافي نادر وبتوثب عسى أن يخفف من صدمة فراق سوزيت. فشرع في كتابة رواية **أمبيدوقل** *Empédocle* ثم أعاد كتابتها لمرتين متتاليتين دون أن ينجح في إتمامها. كما كتب مجموعة من الدراسات في علم الجمال والفلسفة. وإصراراً منه على الوصول إلى استقلال مادي، قرر تأسيس مجلة تحمل عنوان **إيدونا** *Iduna*. لكن المشروع بدوره لم يكتمل. وإلى هذه الفترة، التي غلبت عليها المجاهدة في الكتابة، وضع الصيغة الأولى للمراثي والأغاني وأصبح معروفاً. على أن أحواله المادية ازدادت سوءاً، فلم يجد بداً، في1800، من العودة، مرغماً ومنهاراً. عندها تضاءلت طاقته الجسدية والفكرية، واحتدت حالة الكآبة لديه فكتب:«هذا المناخ لا يصلح للشعراء.» وفي السنة ذاتها عتنى به أصدقاؤه في شتوتغارت واستدعاه على الخصوص صديقه التاجر لانداورLandauer لقضاء مدة معه. فكانت فرصة كتابة أولى الأعمال الشعرية الكبرى وترجمة بندار، الذي بدا أثره

حاسماً في كتابة «التراتيل». ثم سافر في 1801 إلى هابتويل Hauptwil في سويسرا للعمل مؤدباً، لكن العائلة اعتذرت عن قبوله بمجرد ملاحظة حالته. فعاد من جديد



في بيت تسيمرZimmer، النجار، في مدينة توبنغن، من سنة 1807 حتى وفاته في 7 يونيو 1843. هناك في محل يشبه قلعة تم وضعه في غرفة معزولة في الطابق الأول، مشرفة على نهر نيكار. في هذه المرحلة عاش هلدرلين فترات طويلة من الصمت، كما كتب قصائد قصيرة أصبحت معروفة بـ«قصائد الجنون». وهي قصائد متحررة من قواعد الشعر الكلاسيكي، كان يمضيها أحياناً بأسماء غريبة مقل سكاردنيللي ويذيلها بتواريخ ماضية(أو لاحقة). في تلك الغرفة زاره معجبون وقد بدأ الرومانسيون في اكتشافه وكذلك أعماله أصبحت متداولة في الحياة الشعرية الألمانية.

وتكاد تكون المرحلتان متساويتين من حيث عدد السنوات، إذ أن هلدرلين انتابته أول أزمة عصبية حادة وهو يبلغ خمساً وثلاثين سنة، ثم أمضى بعدها سنتين بين بيت أمه وصديقه سانكلير والمصحة العقلية، وأخيراً ستاً وثلاثين سنة معزولاً في بيت تسيمر. وإذا كانت «صعقة أبولو» أقوى مما كان يحتمل جسده، أي النور الشعشعاني الذي يفضي إلى الظلمات، العمَى، فإن من المحتمل أن تكون تلك الأزمة غير بعيدة عن استحالة الحياة مع سوزيت، أو الإخفاق في الحصول على مورد مادي قار يضمن له التفرغ للكتابة، أو الفشل في إصدار مجلة «إيدونا». عوامل مجتمعة لها فعلها في مرضه، مهما كان حجمها في مسار تاريخي ألماني أو أوروبي.

.4

كان نيتشه يعتبر هلدرلين شاعره المفضل وكتب عنه. مع ذلك لم تبلغ مكانة هلدرلين ذروتها إلا في القرن العشرين، عندما اهتم بقراءة شعره الفيلسوف الألماني هيدجر، في محاضراته الجامعية التي ألقاها على طلبته أول مرة في سنتي 1934 و1935، وافتتحها بقراءة قصيدة «جرمانيا»، ثم تلتها على فترات قصائد أخرى. بهذه القراءة الفلسفية انتقل هلدرلين من كونه أحد أعلام الشعر الألماني في القرنين الثامن والتاسع عشر إلى «هذا الشاعر الذي يتعلق به مستقبل الألمانيين»، حسب تعبير هيدجر

في كلمته الافتتاحية للمحاضرة الأولى، أو «شاعر الشعراء» كما سماه هيدجر في دراسته عن معنى الإقامة شعريا على الأرض. وبهذه القراءة ارتفع هلدرلين إلى مدى لا ينحد من عناية شعراء وفلاسفة ونقاد ومترجمين بشعره لا يمكن تخيله بدونها، كما كتب عديد من الدارسين، معترفين بفضل قراءة هيدجر على هلدرلين.

فهذه القراءة الفلسفية أبرزت الثورة التي أحدثها هلدرلين في الوعي بالشاعر والشعري. فهو انتقل بهذا الوعي إلى رؤية تتلخص في تجربة الوجود والمصير، مستمداً رؤيته مما تعلمه من الإغريق ومما أصبح يؤمن به من امتداد لهم. ذلك ما كتبه لصديقه بوهلندورف، بعد عودته من بوردو: « إذا كنا لم نبلغ بعدُ هدفنا، فذلك لأننا الذين نحاول من جديد، بعد الإغريق، أن نغني تبعاً للطبيعة، وتبعاً للوطن، بطريقة متأصلة لا مثيل لها.» إنه وعي تحديث النظر إلى القصيدة، إلى الشعري. وهو في آن لا يمكن أن يصدر إلا عن الشاعر نفسه حتى «يكون بدوره أساس كل إقامة» على الأرض، كما كتب هيدجر في قراءة قصيدة «ذكرى». هي إقامة ذات معنى مخصوص، لا سبيل إلى اختزاله في كل ما يعمله الإنسان، وما يقوم به من أجل أن يستحق الحياة. هذا معنى أول، على أن هلدرلين يذهب به نحو الأعمق عندما يكتب :

عديدةٌ مزاياهُ، مع ذلك شعرياً

يقيم الإنسان على هذه الأرض.

هي إقامة مسكونة بالشعري، لأن «الشعر هو القوة الأساسية للسكَن الإنساني».

فالشعر هو الكلام الذي يعطي الواقعي ما يتأسس به وعليه. والشاعر الملهم بـ «روح الشعر»، حسب تفسير هيدجر، هو وحده الذي يحول الإقامة من معناها الأول، المستخلص من مزايا عمل الإنسان إلى معنى قياس الما بين، في الصلة بين السماء والأرض، عمودياً، بما هو حضور للإلهي. ذلك ما تفصح عنه قصيدة «ذكرى» من خلال تلك الأبيات المشعة عن معنى الشاعر:

(...............) لكن البحرَ

يأخذُ الذكرى ويمنحُها
والحبُّ بدوره يأسر النّظرات باستمرارْ
لكن ما يبقَى، وحدهم يؤسّسه الشعراء.

أبيات تحولت إلى بوابة مفتوحة في وجه العابرين إلى تجربة هلدرلين. والأبيات الواردة في قصيدة «كيوم العيد» تكرر الصورة ـ الفكرة نفسها:

وهكذا يرْشُفُ أبناءُ الأرضِ الآنَ
نارَ السّماء دونَ أنْ يهْلكُوا
وواجبُنا، نحنُ الشعراء، أن نقفَ
حاسري الرؤوس تحت عواصف الرَّبّ
مُمسكينَ بأيدينَا نحنُ
شُعاعَ الأب ذاتَه،
واجبُنا أن نقدّمَ للنّاسِ هبَةَ السّماءْ
مَلفُوفةً في القصيدة.

.5

كان الوعي بالشعري لدى هلدرلين متفاعلا مع الوعي بالتاريخي. لهذا فإن اعتبار عناية الشاعر بالمصير له دلالة تاريخية بقدر ما له دلالة شعرية. ففي ملاحظة وضعها في هامش ترجمته لمسرحية سوفوكل أنتيغون، كتب عن الألمان في زمنه: «إن الاتجاه الأساسي يجب أن يكون معرفة كيف نلتقي على نحو دقيق، ونمتلك «عنوان» مصير، لأن غياب الاتجاه، المصير هو ضعفنا.»

ومن هذا الوعي المتوهج بالامتداد للإغريق من ناحية، وبالعيش في زمن ألماني تغيب عنه معرفة كيف يمكن اللقاء بالمصير من ناحية ثانية، اتخذت تجربة هلدرلين بعداً أصبح معه الشاعر صاحب رسالة، لا بالمعنى الديني، بل بمعنى «النبوءة الشعرية»، كما كتب هيدجر: «إن حلم [النبوءة] إلهي، لكنها لا تحلم بإله. يضغط هذا الحلم بثقله

الخاص: فبفضله، لا تتحول الأنفاس المهدهدة إلى زوابع ملتبسة: إنها تخط طريقها الوحيدة فوق المسالك البطيئة.» نبوءة لا تحلم بإله، لأنها تلتصق بالآلهة اليونانية، التي كانت بالنسبة لهلدرلين أقرب إلى نفسه من الإله المسيحي الغائب في زمنه. لهذا فإن الإلهي الذي يتردد في أعماله يستند إلى أن الإنسان والطبيعة يحتاجان إلى الإلهي منفصلا عن الديني. والنشيد كان الصيغة المثلى لصياغة هذا الإلهي، مصدر النبوءة، من خلال قصائد، تصادت فيها الأرض اليونانية مع الأرض الألمانية، من بينها «وداع»، «ديوتيما»، «التائه»، «خبز وخمر»، «عودة»، الأرخبيل»، «نصف الحياة»، «الراين»، «ذكرى». في هذه القصائد، كما في غيرها، تتبلور الرؤية الهلدرلينية للشاعر والشعر. ولكن القصائد تتكامل، أيضا، مع كل من رواية هيبريون وأمبيدوقل، ودراسات موضوعها الشعر والفلسفة، ورسائل، تؤدي كلها إلى معنى الرسالة الشعرية ومعنى النشيد، الذي يجعل شعباً من الشعوب يقيم شعرياً على الأرض.

إن قصيدة «الأرخبيل»، التي كتبها هلدرلين سنة 1800، في نفس فترة كتابة «نصف حياة» و«خبز وخمر»، هي أطول قصيدة كاملة نشرها هلدرلين. وهي تستدعي العالم اليوناني، كما عرفه من خلال الكتب، أو كما تجسد له في الجنوب الفرنسي، أثناء إقامته في بوردو. يونان الآلهة والحروب وحياة الأثينيين. في هذه القصيدة يظهر بوزيدون، إله البحر، أهم عناصر الطبيعة لدى الإغريق، مخبولاً ومريضاً، كما هي حال هلدرلين. هذه القصيدة نموذج لما كان يقصده من العودة إلى اليونان. إن الانتقال من الوطن، ألمانيا، إلى اليونان، الخارج، الغريب، ذهاب إلى حيث الآلهة قريبة، ثم ذهاب إلى حيث التعلم من الغريب ضرورة لكل ما هو موجود في الوطن، لكل عودة إلى الوطن. تلك الضرورة المعرفية هي التي لازمت هلدرلين في البحث عن تحديث النظر إلى الشاعر والشعري. ذلك ما كتبه سنة 1801 في رسالته إلى صديقه بوهندروف : «ما هو شخصي يجب أن نتعلمه بقدر ما نتعلم ما هو غريب. لذلك لا يمكن أن نغفل عن الإغريق.على أننا، بالضبط في مجال ما هو شخصي لنا، موجود

في الوطن، لن نصل إلى مضاهاتهم، لأن الاستعمال الحر للشخصي، كما قلت لك، هو الأصعب.» فلا عودة إلى الشخصي، الموجود في الوطن، الطبيعي، إلا من خلال الذهاب إلى الغريب، اليوناني، في التصور الهلدرليني. لكن هذا الذهاب لا يتغيا التقليد بتاتاً، وإلا بطل مفعول الذهاب إلى الخارج، الغريب، واستحالت معه العودة إلى الشخصي. ففي الرسالة نفسها يضيف: «لهذا أيضا سيكون من الخطورة لنا أن نستخلص قواعدنا، في الفن، من مجرد نموذج اليونانيين الكامل. لقد اشتغلت طويلاً على كل هذا لأعرف الآن أننا، باستثناء ما لدى اليونانيين كما لدينا يجب أن يكون الإنجاز الأرفع، أي علاقة حية، مصيراً حياً، لا نستطيع بدون شك أن يكون لنا معهم شيء مشترك.»

.6

كان هلدرلين، أثناء إقامته الدراسية في توبنغن، اعتنى بالفلسفة والموسيقى، كما اهتم بالدراسات اليونانية. كتب هلدرلين قصائده في قالب كلاسيكي، صارم في احترام تام لبنية البيت أو بنية المقطع أو القصيدة بأكملها، وفي احترام لتركيب الجملة، من حيث بنيتها النحوية والصرفية. كان في ذلك المنحى الجمالي يتبع خطوات الشاعر فريدريش كلوبستوك Klopstock (1724ـ1803)، ثم تحول لاحقاً إلى شيلر، الذي كان لعمله دون كارلوس تأثير واضح عليه في كتابة هيبريون. على أنه في فترة النضج الشعري قام بإدخال نبرته الشخصية على الأوزان القديمة وعلى جمالية اللغة الألمانية، فاغتنت قصيدته بكثافة شعرية عليا، موسومة بمرجعية تتردد فيها الحضارة اليونانية. إضافة إلى أنه في «قصائد الجنون» انتهج طرائق أكثر تحررا في البناء، كما سبقت الإشارة.

.7

حياة هلدرلين وشعره مرا، منذ أواسط القرن التاسع عشر، عبر محطات كبرى من التعرف والتوثيق والنشر والدراسة. والمشتغلون، في ألمانيا أو خارجها، يؤكدون أن الألغاز لا تزال تحيط بهما. ولا نفاجأ بشيء من ذلك. ففي 1993، سنة الاحتفال بالذكرى المائة والخمسين على وفاته، صدرت من جديد طبعتان رفيعتان للأعمال الكاملة، عن دار كلاسيكر Deutsche klassiker ودارCarl Hanser، لكل واحدة منهما امتياز خاص. كما تم الكشف في المناسبة ذاتها عن وثائق عثر عليها، هي ملف الوصاية على الشاعر الذي يتضمن ثماني عشرة رسالة كتبتها أسرة تسيمر النجار عن «المريض الروحي». إضافة إلى أن هناك أعمالا جديدة بالغة التعقيد لم يتيسر لحد الآن البث النهائي في فقراتها وبنائها الأصلي. وهذا يعني أن هلدرلين ما زال ينتظر عقودا أخرى من البحث والتنقيب والدراسة.

.8

سبق للشاعر فؤاد رفقة أن نشر ترجمة لمختارات موسعة من قصائد هلدرلين سنة 1974 بالاشتراك بين الدار الأهلية للنشر والتوزيع في بيروت ودار هورست في توبنغن. وهي اليوم علامة كبرى تستحق من جميع قراء هلدرلين بالعربية تحية تقدير ووفاء. فهذه الترجمة تمت مباشرة من الألمانية، وعلى يد شاعر له مكانته الخاصة في التحديث الشعري العربي.

وإقدام حسن حلمي، اليوم، على إنجاز ترجمة جديدة لمنتخبات شعرية موسعة لهلدرلين يتوافق مع ما تسير عليه أوضاع الترجمة في الثقافات الحديثة، على الخصوص. ففي كل جيل، أو كل لحظة ثقافية، تبرز الحاجة لتجديد الترجمات. لكن حسن حلمي ترجم القصائد بالاعتماد على لغة وسيطة هي الإنجليزية، من خلال ترجمة شعراء ثلاثة هم الإنجليزيان مايكل هامبورجرMichael Hamburger وديفيد

كونستانتين David Constantine والأمريكي ريتشارد سيبرث Richard Sieburth. وهم من أصحاب الخبرة بشعر هلدرلين في أصله الألماني. وقام حسن حلمي بعد ذلك بمراجعة الترجمة، توخياً للدقة، مع عبد اللطيف قديم، أستاذ الألمانية في كلية الآداب عين الشق بالدار البيضاء، بالاعتماد على الأصل الألماني.

.9

كنت أحس دائما بالحاجة إلى ترجمة جديدة لشعر هلدرلين. وأثناء زيارتي في يناير 1996 بيت تسيمر في توبنغن، الذي هو متحف هلدرلين، كنت طرحت سؤالا على مديرة المتحف يتعلق بترجمة هلدرلين، من حيث اللغات والأعمال. وما كان فاجأني في أجوبتها هو أن أغلب ترجمات هلدرلين تتم عبر لغات وسيطة. هذا الجواب هو ما ظللت أحتفظ به، وفي ضوئه أقرأ اليوم ترجمة حسن حلمي. فأنا، عندما أقرأ هذه الترجمة، أنصت إلى النفَس الشعري، متدفقاً، من قصيدة إلى قصيدة. وأترك للترجمة وحدها أن تدلني على جماليتها، على وفائها للأساسي في القصيدة الهلدرلينية. أقصد التركيب اللغوي وبناء البيت في آن. إنه أسطرلاب القراءة، الذي يصاحب القارئ في المعابر الوعرة التي تهدد بافتقاد الطريق. ذلك ما يحررني من الجري وراء أوهام المطابقة أو الكمال. هي طريقتي في قراءة ترجمات هلدرلين، التي تتناقض أو تتعارض، في الفرنسية، مثلا. وقراءة ترجمات أعمال شعراء من لغات وثقافات تتنافس في الوصول إلى أقصى ممكن في اللقاء بين النص الأصلي والمترجَم، علماً أن ترجمة قصائد هلدرلين تطرح قضايا تعود إلى الأصل الألماني نفسه، من حيث تعدد الصيغ، حيناً، وتعدد التأويل، حيناً آخر.

ترجمة حسن حلمي حدَثٌ، لأنها تعتمد منتخبات موسعة تشمل أهم قصائد هلدرلين في جميع فترات حياته، من الشباب إلى القصائد الكبرى والمراثي إلى مرحلة «الجنون». وهي بهذا تقدم لنا عملا يستطيع القارئ، من خلاله، أن يرحل

منتشياً، متأملاً ومنصتاً، إلى شعر وشعرية هلدرلين، ويحس فيه بما يمثله هذا الشاعر المتفرد من تجربة أصبحت إحدى التجارب الشعرية الإنسانية، التي تقودنا إلى معنى الشعر ومعنى الشاعر، في فترة بناء التحديث الشعري في الغرب. ترجمة فيها الحرص الشديد على رصد الصورة الشعرية أو مرجعيتها، وعلى ضبط اختيار الكلمات، وعلى تتبع اقتصاد التركيب، وعلى توزيع الأبيات حسب ما جاء في الأصل. كل ذلك مع امتيازها باستثمار جمالية العربية من أجل تحقيق ما تستوجبه الضيافة من مراعاة آدابها، حتى تكون لقصائد هلدرلين في العربية حياة جديدة، لها من الحيوية بقدر ما لها من الجلال. وهي جميعها أفادت في احترام بناء البيت الشعري، وتوسيع فضاء النفَس، من بين إلى بيت ،رمن مقطع إلى مقطع. ولم يكن إدراك هذه الغاية، العزيزة على كل شاعر ومحب للشعر، ممكناً لو لم يكن حسن حلمي نفسه يتوفر على ثقافة شعرية رفيعة وعلى إحساس مادي بخصوصية اللغة الشعرية. ترجمة من الصبر تأتي، من التواضع ومن الفرح النقي بالشعر.

المحمدية، في 22. 11. 2008

من قصائد المرحلة الأولى

دْيُوتِيمَا (1797)

تَعاليْ، يا نِعمةَ ربَّةِ الإلْهامِ السَّماويِّ،

هَـدِّئي الآنَ لأجْلي، فوْضَى هذَا العَصْر،

كما آلَـفْـتِ يوماً بينَ العناصر! بسكينةِ أنغامِ السَّماءِ

لَطِّفي المعركةَ المُحتدمةَ حتى يَلتئـمَ ما انْصدَعَ منَ هذا

القَلب الفاني، حتى تَنهضَ، منْ هذا العصرِ المُضطرب،

طبيعةُ الإنسانِ الأصليةُ قويةً صَافية، فَيعودَ النُّبل وتَعودَ السَّكينة.

عُدْ، أيها الجمالُ الحي، إلى القلوب المُمْلِقة، قلوب الناس.

عُدْ إلى المعبد وعُدْ إلى رواقِ المُضيف، فها هي دْيُوتيمَا تحيْا؛

كمُرهَفِ الأزْهارِ في الصَّقيع، تَحيا ثَريةً بروحِها المكنونة،

رَغمَ تَوقِها إلى دفءِ الشُّعاع. لَكنْ، ها هي شمسُ الروح،

وهي العالمُ الأبْهى، هاهي شمسُ الروحِ تَغيب، وليْس يُسمَع

غيرُ صِدامِ العواصفِ في هذا اللَّيل، لَيلِ الصَّقيع.

أنْبادُوقْلِيس

تَبحثُ أنتَ عنِ الحياة، تَبحثُ تبحثُ،
فَتنْبجسُ من أعماقِ الأرضِ نارٌ إلهيةٌ وتَتوهَّجُ نَحوك ،
وفي غَمرةِ شهوتِكَ الرَّاعشة،
تَقذفُ بنفسكَ في لهَب إتْنا.

هَكذا أذابتْ بَهجةُ المَلكةِ اللَّآليءَ في النَّبيذ.
وحَقَّ لها أنْ تَفعل! لَيْتَك، أيها الشاعر،
لم تَهبْ ثَروتَك لِلخمرِ في كأسِ
القُربانِ التي تَفورُ مُهتاجة!

لَكنِّي أراكَ مُقدَّساً قَداسةَ جَبروتِ الأرض
التي حَملتْكَ لتُقصيَك، أيها الضَّحيةُ الجسور!
ولو لم يَمنعْني العِشقُ
لاتّبَعْتُ البطلَ راضياً إلى الأعْماق.

بُونَابَرْت

الشُّعراءُ أباريقُ مقدَّسَة
فيها تُحفَظ خمرُ الحياة،
فيها تُحفَظ روحُ البطولة.

لَكنْ، ألنْ تُحطمَ هذه الرُّوحُ الفَتيةُ،
هذه الروحُ المُتحفِّزةُ، ذلكَ الإبْريقَ
الذي يُحاول احْتواءَها؟

فلْيَدعْها الشاعرُ بكْراً كَروحِ الطَّبيعة،
فَمثْلُ هذه الخِمرِ تَجعل المَعلمينَ تلاميذ.

فهي لنْ تَحيا أو تَخلدَ في القصيدة؛
لكنَّها ستَظلُّ في العالمِ حيَّةً خالدة.

دْيُوتِيمَا (1798)

صامتةٌ أنتِ، تَتألَّمِينَ صابرةْ.
وهُم، أيتها الكينونةُ المقدّسةُ، لا يَفهمونَكِ!
تَذْوين في صمت، إذْ تَبحثينَ ـ آه ـ عبثاً
في ضوءِ الشَّمس، تَبحثينَ بينَ المتوحشينَ عن ذَويك،

تَبحثينَ عن تلكَ الأرواحِ النبيلةِ العَطوف، عنْ أرْواحٍ لم يَعدْ
لها وُجودٌ! لكنَّ الزمنَ يُسرع. وأُنشودتي الخالدةَ، يا دْيُوتِيمَا،
لابدَّ أنْ ترى يوماً تَتبوَّئينَ فيه، ومعكِ الأبطال، مقامَك بينَ الآلهة.
وسيكونُ ذلكَ اليومُ لكِ سميّا، سيكونُ ذلكَ اليومُ بكِ شَبيها.

إلَى عَبْقرِيتهَا

أَرْسلْ إليها الزهورَ والثِّمارَ من خُصوبةٍ لا تَنْضُبُ،
أَرْسلْ إليها من أعَاليكِ، أيها الرُّوحُ الحافظ، شباباً أبدياً !
لُفَّها في مَسرَّاتِك ولا تَدعْها أبداً تُقاسي
سِنينَ الوحْشة، فلا بدَّ أنْ تعيشَ، وهي الأثينيةُ المغْتربة،
إلى أنْ يَحينَ يومٌ تُعانقُ فيه بمحبة، في أرضِ المنعَّمين، شقيقاتٍ
سَعيداتٍ كنَّ يَحْكُمنَ ويَعْشقنَ حينَ كان فذْيَاسُ في ريعانِ الشباب .

مَا لا يُغْفَـر

سَيغفرُ لكَ الربُّ إنْ أنتَ نسيتَ أصدقاءَك،
أو اسْتهزأتَ بالفنَّان، أو أوَّلتَ الفكرَ
الأعمقَ فجاءَ تأويلكُ تافهاً مُبتذلاً.
لكنْ، أبداً، لا تُقلقْ راحةَ العُشّاق، أبداً.

إلَى الشُّعَراء الشبّان

أيها الإخوةُ الأعزَّاء، لَعلَّ فنَّنا يَنضجُ قريباً -
فقدْ ظَلَّ، كالشَّباب، يَختمرُ زَمناً طويلاً -
لعلَّهُ يَنضجُ فتَتحقَّق فيه سَكينةُ الـجَمال؛
أُناشدُكُم أنْ تَتحَلَّوْا - كما تَحلَّى الإغريقُ - بالورع.

أحِبّوا الآلهةَ وأَحْسِنوا الظَّنَّ بالبَشر!
أَبْغضُوا السُّكْرَ كما تُبغِضونَ الـجَليد!
لاتَعِظوا ولاتَصِفُوا! وإنْ أرهبَكم مُعلّمُكمْ،
فالْتَمسُوا النُّصّحَ منَ الطبيعةِ العَظيمة.

إلَى الألْـمان

لا تَسْخَـرُوا منَ الطِّفلِ حينَ يَحملُ السَّـوطَ والمهمازَ ويَمتطي
حصانَـه الخشبي، مُتصوِّراً نفْسَـهُ عظيماً وشجاعاً،
فأنتُمْ، أيهَا الألمانُ، أنتمُ أيضاً فُقراءُ
بالأفْعَال، أثرياءُ بالأوْهَام.

وإلاّ، فَهلْ تَصدرُ الأفعالُ عَنِ الأوْهَام، كَما يَصْدرُ وَميضُ
البرْقِ عَنِ الغَمَام؟ أَيُمكنُ أنْ تَسريَ الحياةُ
في الكُتب؟ فيَا أحبَّائي، اعْتقلُوني إذنْ
واجْعلُوني أُكَفِّرُ عنْ تَجديفي.

إلَى إلَه الشّمْس

أينَ أنت؟ مبهورةً، سَكْرى، تَصير رُوحي وَاهنةً
وتَغرقُ في ظلام مَسرَّة مُسْرِفة، الآنَ فقط
شاهدتُ إلهَ الشّمْس المُبْهِج،
شاهدتُه، ضَجِراً منْ دَربه، يَتباطأُ

ليَغْسلَ ظفائرَه الفتيةَ في الغُيوم الذّهبيّة،
وإذْ غَمرَ بنورهِ عينيّ، واصلَتْ عَينايَ التَّحديق،
مع أنَّه الآنَ رحلَ بعيداً، بعيداً، بعيداً،
إلى الأُمَمِ الوَرِعَةِ التي لا تَزال تُجلُّه.

وأنْتِ، أيتُها الأرضُ، أُحبُّ أولئكَ الذينَ يُشاركُونَني الحِدادَ
علَيْه، ومثل أحْزانِ الأطفَال، يَسْتسلِمُ للنَّوم
حِدَادُنا، وكما تَعبثُ الرياحُ الخافقةُ
في أوتارِ القيثارةِ وتُواصلُ الهمْس

إلَى أنْ تُغويَ إصبعُ المعلّم نَغمةٌ
أصْفى، كذلكَ تَلْهُو الأحلامُ والرَّذاذُ حَولنا
إلى أنْ يعودَ الحبيبُ ثانيةً ويُوقِدَ
في نُفوسِنا حياةً جديدةً، عُنفواناً جديداً.

غُـروب

أيْنَ أنت؟ مبهورةً، سَكْـرى، تَصيرُ روحي وَاهنةً
وتَغرقُ في ظَلامِ مَسرَّةٍ مُسرفة، فالآنَ فقط
أَنْصتُّ إلى الفَتى المُبْهِجِ، إلَهِ الشّمس،
إله تُثريه الأصواتُ الذهبية،

يَترنَّمُ بتراتيلِهِ المسائية، عازفاً على قيثارةٍ إلهية،
وكلُّ ما حَولَ التِّلال والغابات يُرَجِّعُ أصْداءَها
مع أنَّهُ رَحلَ الآنَ بعيداً، بعيداً، بعيداً،
إلَى الأممِ الوَرِعَةِ التي لا تَزال تُجِلُّه.

إِلَى شُعَرائِنا العِظَام

ضِفافُ الغانجْ سَمِعتْ هُتافَ التَّرحيب بإِلَهِ البَهْجة
حينَ أخْضعَ باخُوس الفتيُّ كلَّ ما وراءَ
إنْدُوسَ، جاءَ وبخمرِهِ المقدّسَة،
أيْقظَ الشُّعوبَ منَ الوَسَنْ.

أنتُمْ أيضاً، أيهَا الشّعَراء، أيْقِظوا أولئكَ
الذين لاَ يزَالُون نائمين، هَبُونَا الشَّرائعَ،
هَبُونَا الحياةَ ! أَشْهِرُوا نَصْرَكُم ! فلكُم، وحْدَكُمْ،
كمَا لذلكَ الإلَه، الحقُّ في أنْ تَنْتصِرُوا.

الوَطَن

النُّوتِيُّ علَى النَّهرِ الصّامتِ يَعودُ إلَى الوَطَن
يَعودُ من جُزرٍ نائيّةٍ كانَ يَجْني فيهَا غِلالَه،
أشْتهِي أنْ أَعودَ أنا أيضاً إلَى الوطَن،
لكنْ مَاذا جنْيتُ سِوَى الأسَى؟

أيتُها الضّفافُ التي بها تَرعْرَعتُ، هلْ تَستطعن
أن تُسَكِّنَّ أحْزانَ العِشْق؟ آه، هلْ تَستطعْنَ
أنْ تَمنحْنَني غَاباتِ الطفولةِ حين أَؤُوبُ إليْكنّ ؟
هلْ تسْتطعنَ أن تُعِدْنَ إليّ تلكَ السَّكينة؟

فـانيـني *

وَسَـمُوكَ عدوَّ الرّبِّ، الـمُسْتـخفَّ، وكوَّمُوا
على قلْبكِ لعَناتِـهمْ، ثمّ أحْكَمُوا قُيودَكَ
وتركُوكَ للنيّران، أيهَا الرّجلُ
المقدّسُ ! لكنْ، آهِ، لـمَ لـمْ نَـعُـدْ

مِنَ السّماء مُلتهباً، وهَّـاجـاً، لتضْربَ رؤوسَ أولئكَ
الـمُجدِّفين، لـمَ لـمْ تـدْعُ العَواصفَ لتمْـحُـوَ
منَ الوَطنِ المدنَّـس وتَـمْحُوَ منْ هذه الأرْضِ
رُفاتَ أولئكِ المتوحّشين القَاسيّة قُلوبُهمْ !

لكنْ تلكَ التّي أحْبَبْتَها وأنتَ حيٌّ، تَلَـقتْـكَ وأنتَ
تَـمُوتُ ـ أَعرفُ أنَّ الطبيعةَ المقدَّسة تنْسَى أفْعالَنا
نحْنُ البشَرُ، لذلكَ أعَادتْ إلَى مَن اضْطهدُوكَ،
كمَا أعادتْ إليك، ذلكَ الأمنَ العتيق

*. Lucilio Vanini (1585-1619) فيلسوف إيطالي أحرق لأنه اتهم بالإلحاد وبممارسة السحر والتنجيم

سُقْراط وَالسِّيبْيادِيسْ

«سقراطَ القديسَ، لمَ لا تَكُفُّ أبداً عن التَّطلّعِ
إلَى هذَا الفتَى؟ أوَ لستَ عارفاً بأمورٍ أعْظمَ؟
لماذا تُحدِّقُ فيه بمَحبَّةٍ،
كأنَّك تَنظرُ إلى الآلهة؟»

مَنْ يَتأملُ الحقائقَ الأعْمقَ يَعشَقُ تَجلياتِ الحياة في أوْجِ
عُنفوانِها، ومَنْ يَرى منْ العالَم شيئاً، يَتفهمُ تَطلُّعاتِ
الشَّباب السَّاميّة. وفي النّهاية،
غالباً ما تَنْحني الحِكْمةُ إجلالاً للجَمالْ.

حِكَم

نَصيحَة

لديكَ عقلٌ وقلب؟ أنصحكَ أن لا تكشفَ إلاَّ عن أحدهما، إنْ تَكشفْ عنهما معاً في نفس الآن، تَكنْ لعنتُهما عليكَ مُضاعفة.

المتميزون

إخواني الأعزاء، مهما تفعلون، لا تُحاولوا أنْ تكُونوا كُتَّاباً مُتميّزين؛ أجِلُّوا القَدَر، وتَقبَّلوا أنَّ الرَّداءةَ في ما تنجزُونَ أمرٌ بشريٌّ. فإنْ يتجرأ الرأسُ يوماً، يَتْبَعْهُ الذَّنَب، وعصرُنا الزَّاهي، أيها الألمان، قد ولَّى ولنْ يعُودْ.

شعْرُ الوَصْف

آخر الأخبار: أصبح أبوللو إلهَ الصحافيين، وأهلِ الجرائد،
وأصبحَ غُلامُه الأزرقُ العينينِ هو الذي يخبر بكل الوقائع.

الإنْسَان

حينَ تبدَّتْ كالبرَاعمِ لأجْلِكِ أيتُها الأرضُ،
حينَ تبدَّتْ ، من الماءِ مثلَ البَراعِم، قِممُ الجبالِ الفَتية
ونَشرتْ أُولَى الـجُزرِ البهيجةِ المليئةِ بأيكٍ دائمِ الخضرة،
نَشرتِ الفرحَ عبيراً وأغْدقتْ عطْرَها

وَسطَ البحْرِ الرَّمادي المهْجُور؛ وكانَ إلهُ الشَّمس
عنْها راضياً، فَنَظـرَ إلى المخْلُوقاتِ التي نَشأتْ حَديثاً،
إلى النّباتات، إلَى الأطفالِ البَاسمين، أطفالٍ أنْـجبَـهُمْ شَبابُه
الذي لا يَكلُّ، أنْـجبَهم منْكِ أنتِ، أمِّهِمْ ـ

إذْ ذاكَ كانَ أجْملُ أطْفالك راقداً هُناكَ
في أجْملِ جَزيرةٍ حيثُ ظلَّ النَّسيمُ يَسْري
لَطيفاً هادئاً حوْلَ الأيْك
وكانَ قدْ وُلِـدَ بَاكراً ذاتَ فَجْر بعدَ لَيلةٍ لَطيفة،

وَوُضِعَ في مَهدٍ وسطَ عناقيدِ الكرْمِ ـ
ونَحْو الأبِ هلْيوسَ رَفعَ الفتَى
عَينينِ تَعرفانِه، أَفاقَ، وبدأ يَتذَوَّقُ
عُذوبةَ حَبَّاتِ التُّوت، إذ اختارَ

الكرْمَ المُقدَّسَ له مُرضِعةً، وسَرعانَ ما نَما،
كانتِ الحيواناتُ تَتجنَّبُه، فالإنسانُ يَختلفُ عنها.
لا يُشبهكِ أنتِ، أمَّـه،
ولا يُشبهُ أبـاه، فَفيه تَحيْا،

بجُرأةٍ وفَرادةٍ، مُتأصِّلتيْنِ معاً، رُوحُ أبيهِ،
وفَرحُكِ، حُزنُكِ، أنتِ، أيتُها الأرضُ،
يَتوقُ إلى أنْ يكونَ مثلَها، مثلَ الطبيعة،
أمِّ الآلهةِ والـمُحيطةِ بكلِّ شيء !

آه، لهذَا تُبعِدهُ غَطْرستُه
عَنْ أمانِكِ، أيتُها الأرضُ، فَتكونُ عبثاً
كلُّ هِباتِك وكلُّ أغْلالِكِ النَّاعمَة ـ
يَرى كلَّ ذلكَ قليلاً، ذلكَ الطَّائِش!

فإلَى مَا وَراءَ مُروجه العَطِرةِ عندَ ضِفافِ النَّهر،
يُطرَدُ الإنْسانُ إلَى حيثُ الماءُ بلا أزهارٍ،
ومع أنَّ بَساتينَه تَلمعُ بالثِّمار الذهبيّة
مثلَ لَيلةٍ تُرصِّعُها النُّجوم، فإنَّهُ يَحْفرُ لنفسِهِ

كُهوفاً ويَفْحَصُ الشُّعاعْ،
بَعيداً عن النّورِ الصَّافيّ، نورِ وَالدِهِ العَظيمْ،
ويَخونُ أيضاً إلهَ الشمسِ،
يَحتقرُ الهُمومَ ولاَ يُحبُّ الكَادحينَ أبداً.

فَطُيُورُ الغاب أكثرُ حُريةً في اسْتِنشاقِهَا الهَواءْ،
ومَع أنَّ صدرَ الإنسانِ يَمتدُّ مُتعاظماً مُتكبّراً،
وبوسْعِ نَظرتِهِ أنْ تَخترقَ ظَلامَ الآتي،
فإنَّهُ يَرى الموتَ أيضاً وعليهِ أنْ يُواجهَهُ وَحيداً.

وهْوَ يَحمِلُ السِّلاحَ، في قَلقٍ دائم،
ضدَّ كلِّ المخْلُوقاتِ الَّتي تَحْيا وتتحرَّكُ في كِبرياءْ؛
يَسْتهلكُ نَفْسَهُ في النِّزاع، ونادراً ما يُرضيهِ
الإزْهارُ اللَّطيفُ، إزْهارُ أَمْنِهِ.

أوَ ليْسَ الإنسانُ مُنعَّماً، أوَ ليْسَ سَعيداً
بالقياسِ إلَى غَيْرِهِ منَ المخْلُوقاتِ؟ لكنَّ القدرَ الأعْمق،
القدرَ الماحِقَ، يُحكِمُ قبْضتَه على القَلبِ الملْتهبِ،
قلبِ ذلكَ القويِّ، ليَعْصِرَهْ.

أنشُودَةَ هايّپيْريُون عَن القدَر

أيتُها الأرواحُ المقدّسَة، تَخطُرنَ هناكَ
في النّور، علَى الأرْض النَّاعمةْ.
والنَّسَماتُ الإلَهيّةُ المُشرقةُ
تَلمِسُكنَّ، تَلمِسُكنَّ بـرفْق،
كأنَّها أناملُ عَازفةٌ
تُداعبُ أوتَاراً مُقدّسَةْ.

مثْلَ أطْفالٍ نَائمينَ، تَتنفّسُ
الآلهةُ بمنتهَى العَفْويّة؛
تُواصِلُ الرّوحُ في الآلهةِ
إزْهَارَها، تَصونُها العفَّةُ،
كأنَّها مَحفُوظةٌ في بُرعُم وَليدٍ،
وتَشْخُصُ عيونُها المقَدسةُ،
تَشخصُ سَاكنةً،
في صَفاءٍ أبديّ.

لَمْ نُوهَبْ مكاناً

فيهِ نَستريحُ.

البشرُ المتألّـمـونُ

يَأفُـلـُون، يَتساقطُونَ هدْراً

كُلَّ لحظةٍ،

كأنَّهم ماءٌ يُقذَفُ

منْ جُرْفٍ إلَى جُرْفٍ،

وسَنَةً بعدَ سنَةٍ،

يَهْوُونَ نحْو غياهِبِ المجهولْ.

[في أيّام صبَاي ...]

في أيّام صِبَايَ
غالباً ما كانَ إلهٌ يُنقذُني
منْ صَيْحاتِ البَشرِ ومنْ عِقَابهمْ؛
وكُنتُ إذّاكَ ألعبُ آمناً مُطمئنّاً
أُلاعِبُ أزهارَ البسْتَانِ
وأنسامُ السَّماءِ
تُلاعبُني .

وكما تُدخِل المَسرَّةَ
على قُلوب النّباتاتِ
إذْ تَمُدُّ نحْوكَ أذْرعَها الرّقيقةْ،
كذلكَ أدخلتَ المسرَّةَ علَى قلْبي،
أيّها الأبُ هلْيُوسَ، ومثْلَ إنْديميُونْ
كُنتُ مَحْبوبَكِ،
يَا لُونَا المقدّسَةْ.

فيَا كُلَّ الآلهَةِ
الطَّيبةِ المُخْلصَة!
وَدِدْتُ لوْ تَعْلمِينَ
كَمْ أحَبَّتْكِ عنْدَئذٍ رُوحِي.

صَحيحٌ، لَمْ أكُنْ آنَئذٍ
أستَحْضِرُكِ بالأسْماءِ ولاَ كُنت
بالاسْم تُنادينَني، كَما يَفعلُ البَشرُ،
وكأنَّهم مُتعَارِفُون.

لكنِّي كُنتُ أعرِفُكِ أفضلَ
ممَّا عَرَفتُ البَشر.
وكُنتُ أفهمُ صَمتَ الفضاء،
لكنني لم أفهمْ قطُّ كلامَ البَشَرْ.

تَربَّيتُ علَى عُذوبَـةِ
حَفيفِ الأَيْك
وتَعلَّمتُ أنْ أحبَّ
وسطَ الزُّهورِ.
نَشأتُ في أَحْضَانِ الآلِهَةْ.

ذَوُو النّزَوات

منْ بَعيدٍ، دَعيني أسْمعُ أنْغامَ الأوْتَارِ والأنَاشيدْ
فسُرعَانَ ما تَملأُ السَّكينةُ قلْبي ـ حينَ أشكُو،
كذلكَ يَعتريني التَّحوُّلُ
حينَ تَتجلَّيْنَ لي، أيتُها الكرْمةُ الأُرجوانية،

في ظِلِّ الغابةِ حيثُ تَسطعُ برفقٍ شمسُ الظهيرة
قويةً عالية، وتَنسابُ فوقَ أوراقِ الصَّيف؛
هُناكَ أجلسُ هادئاً، مع أنِّي
كُنتُ قبلَ ذلكَ أجوبُ الحقولَ

غاضباً، مَحْزُوناً، مُستاءً ـ ذاكَ حالُ شُعرائِكِ،
أيتُها الطّبيعةُ، مُدلَّلُون، مُعرَّضُونَ للثّورَة،
مُهيَّئُونَ للحِدَادِ والبُكاء، مثلَ أطْفالٍ
دَلَّلتْهمْ أُمهاتٌ شَغُوفاتٌ لا يَعرفنَ الصَّرامةْ

مُتقلِّبُو الـمِزَاجِ أبَداً، ذَوُو غَطْرسَةٍ وعِنَادٍ،
مُشاةٌ حينَ يَرضَوْنَ، لكنَّ أبسطَ الأمورِ
قد تُربكُهمْ، فَيَجْمَحُونَ
ويَجْنَحُونُ عنْ طَريقكِ القَويمْ.

لكنْ، مَا إنْ تَلْمِسيهمْ برقّتِكِ، أيتُها الوَلُوعةُ،
حتَّى يَغدُوا طيّبينَ وَديعين، لأوامِرِكِ مُطيعينْ؛
فَبوُسْعكِ ـ وأنتِ ربَّتُهمْ ـ أنْ تقوديهمْ
بأعِنَّتِكِ النَّاعمَةِ أنّى تَشائينْ.

رُوح العَصْر

لِزَمنٍ طَويلٍ تَحكَّمتَ هناكَ عالياً فوقَ رأسِي،
وكُنتَ، يَا إلَهَ الزّمَان، مُتلفّعاً بغيْمة مُرْعِدَة!
وَهَاهِيَ الأرضُ تَمتدُّ مُقْفِرةً، مُقفرةً هيَّابـةْ
وكلُّ مَا أَنظرُ إليهِ يَترنحُ ويَتحطَّمْ.

وأُطرِقُ أنا مِثلَ صبيّ،
وَمنْكَ أفِـرُّ إلَى غـارٍ عَميق، وأبْحثُ،
أنا المسكينَ الـجَبانَ، أبْحثُ عنْ مكانٍ
قدْ تكونُ عنْه غَائباً، يا مُحطّم كلِّ شيء.

لَكنْ، أَبِي ، دَعْني أُقابلُ وجْهَكَ أخيراً
مَفتوحَ العيْنين ! ألَـمْ تَكُنْ أنتَ الذي
وَهبْتَني العَقْلَ، يَقِظاً، من شُعَاعِكَ،
وَبـجَلالِكَ وَهبْتَني الحياةَ، أيّها الأبْ؟ ـ

حَقًّا، نَحْنُ نَجْني عُنفواناً مُقدَّساً منْ كُرومِك ؛
ففي اعْتَدالِ الرَّبيع، أوْ حينَ يَتجوَّلُ النَّاسُ
في سَكينةِ البَساتين، سَيُلاقـونَ
إلهاً مُشْرِقاً؛ لكنَّكَ، بقوّةٍ تَمتدُّ في المدَى،

تُوقِظُ أرْواحَ الشّباب، و تَمنَحُ الشُّيوخَ
فُنوناً حَكيمةً؛ وَحْدهُ الشِّرِّيرُ يَزْدادُ سُوءاً،
لكيْ تَكُونَ نهايتُه عاجِلةً،
إذْ تَقْبضُ رُوحَهُ بجَبروتِكَ الَّذي يَهزُّ العَالَمْ.

في الصَّبَاح

يَلمعُ المرْجُ الـمُرصَّـعُ بالطَّلِّ، ويَزدادُ نَضارَةً،
يَنْدفعُ الجدولُ يَقِظاً، وتَثْني شجرةُ الزَّانِ
رأسَها الـمَرنَ، ويُسْمَعُ في الأوْرَاقِ
حَفيفٌ، يَبدأُ في الظُّهورِ أَلَقٌ، وحوْلَ

ضِفَافِ الغُيوم ثَمَّةَ وَميضٌ مِنْ وَهَجٍ أَحْمرَ،
يَتلألأ بَشائِرَ، يَتماوجُ ويلعبُ في صَمْت؛
ذَلكَ الـمُتقلّبُ أبداً، كالأمْواجِ
علَى الشَّاطئِ تَتلاطمُ وتَعْلو.

تَعالَ، آه تعال الآن، ولا تكنْ جَزِعاً،
أيّها النَّهارُ الذَّهبّي، فَوقَ قمَم السَّماءِ أَسْرِعْ !
فَرُؤيَاي، أيّها السَّعيد، تُحلِّقُ نَحوكَ ،
نَحْوكَ تُحلِّقُ بأُلْفَةٍ وانْفتاحْ

وأنتَ في جَمالِكَ الفتِيِّ شاخصٌ ولا يَزالْ
بوُسْعي أنْ أطيقَ بَهاءَكَ وغُرورَكَ وضِيَاءَكْ.
وبوُسْعي أنْ أقولَ لكَ أَسْرِعْ كما تَشاءْ
فَليْتَني أَمْضي مَعكَ أيها الجوَّالُ الإلَهيّ !

لَكنَّكَ الآنَ تَبسمُ مُشْفِقاً على كبْريائي الرَّضيّة،
ذَلكَ بكَ أَوْلى، فَبارِكْ، إذنْ، أيّها الورْدُ المُتعرِّشُ،
بَاركْ أعْمَالي الفانيّة، وأنِرْ، في هذَا اليوم،
أيها الرَّؤوفُ، أنِرْ دَرْبيَ الصَّامتْ.

المَايْـن *

صحيحٌ أنَّ على هذه الأرضِ بلاداً كثيرة
أتوقُ إلى رؤيتِـها، وفوقَ التلال أحيانا
يَـفِرُّ مني قلبي، وتَـشـرُدُ أمنياتي
نحو البحر، ثم إلى تلكَ الشواطئ التي نالتْ

من المديح أكثرَ مما نالتْه كلُّ الشواطئ التي أعرفُها ؛
لكنْ لا بـلـدَ من تلك البلاد أعـزُّ عليّ
من بلد الـحِـدَاد، بلدِ الهيلينيّينَ،
ذلك الذي فيه يرقد أبناءُ الآلهة نائمينْ .

آه، تارةً أتوقُ إلَى ذلكَ البَـرِّ، علَى سَاحلِ سُونْيُوم ،
وتارةً أستدِلُّ علَى الطّريق إلى أعْمَدتِكَ، يا أولمپيّونْ،
وأستعْجلُ قبلَ أنْ تَـطْمركَ الريحُ
الشماليةُ أنتَ أيضاً في الأنقاضِ المتَناثرةْ،

---

*. Der Main نهر في ألمانيا، وهو واحد من أهم روافد نهر الراين.

أنْقَاض معَابدِ أَثينا، وتَماثيل آلهتهَا،
فقدْ صمَدْتَ طَويلاً في وحْشة خَرابكَ،
يَا مفْخَرةَ عَوالمَ انقرضَتْ ! آه يا أيتُهَا
الجَزائرُ الأيونيّة البهيّةُ، يا مَنْ تُقبلُ النسائمُ ثغرك

مَنْ عَراءِ البَحْر لتُغدقَ الاعْتدالَ علَى دفْءِ الشّواطئ
بينَما يَنضَجُ الكرْمُ تحْتَ أشعّةِ الشّمْس المُسْكِرَة،
فيكِ، آه، فيكِ الخريفُ الذهبّي ما يَزالْ
يُحيلُ زفَراتِ النّاس أغانيَ ،

الآن يُغويهمْ، رغْمَ هُمومهمْ، بُستَانُ ليمُونهمْ،
وتُغويهمْ شجَرةُ رمّانِهمْ التي أثْقلَتْها الثّمارُ الأرجوانية،
وتُغويهمْ خمرُهُم اللّذيذَةُ، ويُغويهمْ إيقاعُ الطَّبْلِ، وتُغويهمْ
أنْغَامُ القَانُون، فَيهبُّون ليرْقُصوا رقْصةَ المَتَاهة . . .

إليْكِ، ربّما إليكِ أيتها الجُزر، سيَأتي
يوْماً مُغنٍّ شريدٌ؛ فالقدَرُ يقودُهُ
مِنْ غَريب إلَى غَريب، والأرضُ
التي لا تُحَدُّ، أَسَفاه، لا بدَّ أن تخْدِمَهُ

وهْوَ طَوالَ العُمْرِ بلاَ قوْم ولاَ وَطَن،
وَحين يَموتُ ـ لكني، يانهْرَ مَايْنَ البهيجَ،
أبداً لن أنساكَ أو أنْسى ضفَافَكَ، فأنا لمْ أرَ
مثْلَها ضفَافاً مُباركةً في كُـلِّ أسْفاري.

فأنتَ، علَى كبْريائِكَ، تَقبَّلْتَني بكرَم،
وبتدَفُّقكَ النّاعِم وهبْتَ عيْنَ الغَريبِ الألقَ،
وبرفْق عَلَّمتَني الأغاني الـمُنْسابَة،
وعلَّمتني القوّةَ التي في الصّمْتِ تَحْيَا.

آهِ، بهُدوءٍ كما تُسافرُ النّجومُ،
تُسافرُ أنتَ منَ الصّباح إلى الـمَساءْ،
نَحْوَ شَقيقكَ الرّايْن، ثم تُرافقُهُ
وتهْبطَانِ فَرِحَيْن نَحْو المُحيطِ الأعْظَمْ.

[اغْرُبي، إذَنْ، أيّتُها الشّمْسُ الجَمِيلَة ...]

اغْرُبي، إذنْ، أيتُها الشَّمسُ الجَميلة، فَهُمْ لم يُقدِّروكِ
حقَّ قَدْرك، ولا عرفوا، أيتها المقدسة، قِيمتَكِ
فأنتِ كُنتِ تُشرقينَ هادئَةً دونَ عَناء
على قَوْمٍ كانوا أبداً يَكْدحونْ.

لَكنَّكِ بكَرَم تُشرقين عليَّ وعنِّي تَغْربين،
ولكِ، يا نوراً بَهيّاً، تَستجيبُ بالبريقِ عَيناي،
فأنا تَعلَّمتُ الإجْلالَ الإلَهيَّ الصّامتَ
حينَ هدّأتْ دْيُوتيمَا نِيرَانَ سُعارِي.

آهِ لَكَمْ أنْصتُّ - يا رَسولةَ السَّماء - إليْكِ،
أنْصتُّ إليْكِ، مُعلِّمتي ! أنْصتُّ يا دْيُوتِيمَا الحبيبَةْ !
وتَطلَّعتْ إلى النهارِ الذهبيِّ هَاتانِ العَيْنان،
هَاتانِ اللّتان اغْروْرَتَا امْتناناً وهُمَا إليْكِ تَنظُرانْ

وَفَوْراً بَدأتِ الغُدْرانُ بالْعُنفَوانِ تُهمْهِمُ
بَدأتْ أزهارُ الأرضِ السَّوداءِ تَبُثُّني بمحبَّةٍ شَذاهَا
وأطلَّتْ عَليّ منْ خلالِ الغُيوم الفِضّيةِ سماءٌ صافيّةٌ،
سَماءٌ باسمَةٌ، سماءٌ تُغدِقُ من نِعْمتِها عليّ.

نيكَارْ*

في وِديانِكَ أَحَسَّ قلبي بالحياة،
كانتْ مويجاتُك تَلعبُ من حولي،
وكلُّ التِّلالِ الحبيبةِ التي تَعرفُك،
أيها الهائمُ، لا أَعرفُ أنا منْها تَـلا.

على قِمَمِها غالباً ما كان نَسيمُ السَّماء
يُخلِّصُني منْ آلامِ العُبودية ؛ ومن الوادي،
كانتِ الـمُويْجةُ الفِضيةُ المائلةُ إلى الزُّرقةِ تَتلألأ،
كأنَّها الحياةُ تَتَلألأ منْ قَدَحِ البهجة.

كانتْ جَداولُ الـجَبلِ تَندفعُ هابطةً نَحوك،
وكانَ قلبي أيضاً يُرافقُها، وكُنتَ تأخذُنا معك
إلى الرّاين الجليلِ الهادئ،
فتَمْضي بِنَا إلَى مُدُنِه وجُزيْراتِهِ المرِحَةْ.

*. Der Neckar نهر يخترق مدينة تونبغن.

لا يَزالُ العالَمُ يَبدُو لي رائعاً،
وعَيناي تَهْربان منِّي، تَوَّاقةً إلَى مُغرَياتِ الأرْضِ،
إلى پاكتُولس الذَّهبيِّ، وشَواطئ إزميرَ،
إلَى غَاباتِ طرْوادَة. وغالباً ما تَمنَّيتُ

أنْ أرْسُوَ بالقُرْب منْ سُونْيومَ،
وأسْألَ الطريقَ الصّامتَةَ عَنْ أعْمدتِكَ،
يَا أولمپيونَ، قبل أنْ تطمرَكَ العَاصفةُ
ويطمرَكَ الزَّمانُ تَحتَ أنْقاضِ مَعابدِ أثينَا

وتَماثيلِ الآلهةِ؛ فقدْ ظَللتَ مُنتصباً
لِزمَنٍ طويل، يا مَفخرةَ العالَمِ البَائدِ.
وأنتِ يا جُزرَ أيونْيا الجَميلةِ،
حَيثُ نَسيمُ البَحرِ يُنعشُ

الشَّواطئَ الحارَّة ويَنْفثُ الحَفيفَ
في غَاباتِ الغَارِ، حيْنَ تُدفئُ الشَّمسُ
الكُرومَ، آهِ، وحيْثُ الخَريفُ الذَّهبّي
يُحيلُ زَفراتِ البُؤساءِ غِناءً،

حينَ تَيْنعُ شَجَرةُ الرُّمانِ عِندَهُمْ،
حينَ يُومضُ البُرتُقالُ في لَيْلٍ أخْضَر،
وحينَ تَتقاطَرُ صَمْغاً شَجرةُ المصْطكى، ويَعلُو
صَوتُ الصَّنْجِ والطَّبلِ لِتَبدأَ رَقْصةُ المتَاهةْ.

إليْكِ، أيتها الجزرُ، قدْ يَأخذُني الإلهُ
الحارسُ يوْماً؛ لكنَّ فِكْري آنئذٍ لنْ يَكُفَّ
عَنِ البقَاءِ في نِيكَار الحبيبِ ذي المروجِ الفَاتنة،
نِكار المحْفوفِ بأشْجارِ الصَّفْصافْ.

الودَاع

أكُنَّا نَرغبُ إذنْ في الفِراق؟ حَسِبْناهُ حِكمةً وحَسِبناهُ خَيْراً؟
فَلماذا، إذنْ، لماذَا صَدَمَنا الفِراقُ كأنَّه القَتْلُ؟
آه مَا كُنَّا نَعرِفُ أَنْفُسَنا إلاَّ قليلاً،
فَبِبَاطنِنَا إلهٌ مُتحكِّم.

أَكانَ مُخْطئاً ذلكَ الإلَه؟ أَنْ أَخُونَه - وهْو الذي خَلقَ لنا
الحياةَ، والمعْنَى، وكلَّ ما كُنَّا نَمْلكُ، الذي أَلْهمَنا وأحْياناً،
الَّذي كانَ يَحْمي حُبَّنَا -
أَنْ أَخُونَه، بوُسْعي أنْ أَفْعلَ كلَّ شيءٍ إلاَّ هذَا.

لَكنَّ خَطيئةً أُخرى، عُبوديةً أُخرى
تَبتدِعُها الآنَ بَديهةُ العالَم، تُهدِّدُنا بنَواميسَ أُخْرى،
وَبالخِداع يَسْلبُنا العُرْفُ
يَوماً بعدَ يَومٍ أرْواحَنا.

آه، كُنتُ أَعرفُ هذَا منْ قَبلُ. مُنذ أن فَـرَّقَ
الخَوفُ الدَّميمُ، الكَسيحُ، المُتجذِّر، فَرّقَ بيْن الفَانينَ
وَآلهةِ السَّمَاء، ليَسْترْضيَها بسَفْكِ الدِّماء،
مُنذُئذٍ صارَ مَحْتوماً أنْ تُقَدَّم قُلوبُ العُشَّاقِ قَرابينَ.

لأَصْمُتِ الآنَ! ولأَتَجاهلْ مِن الآن هذَا،
لأتجاهَلْ عَاري الفتَّاكِ، حتَّى أُخْفِيَ بسَلامٍ
نَفْسي هُناكَ حَيثُ الوَحْشةُ
وحَيثُ يَكُونُ الفِراقُ (على الأقَّل) فِراقَنا.

نَاوليني الكَأسَ إذنْ، بيدك أنتِ، نَاوليني كأسَ السُّمّ
المُقدَّسِ المُنقذِ، نَاوليني الجُرعةَ المُهلِكةْ
كَيْ أشربَ مَعكِ أنتِ، الأشياءُ كلُّها،
الحبُّ والكَراهيةُ، سَتغيبُ آنَئذٍ في النِّسيانْ.

أُمْنيتي أنْ أَرْحلَ، عَلَّنا نَلْتقي يَوماً،
يا دْيوتِيمَا ـ هَا هُنا، لكنَّ الشَّهوةَ عِنْدئذٍ
سَتكُونُ قَدْ نَضبتْ، وفي السَّكينةِ،
كالمُقدَّسينَ، وكالْغُرباءِ،

سَنَشْرُدُ معاً، إذْ تَقُودُنا أَحَاديثُنا تارةً هُنا وتارةً هُناكْ،
مُتردِّدَيْن، مُتأمِّليْن، لَكنَّ الغافِليْنِ سَيريَانِ آنئذٍ
المكانَ الذي كَانَ فيه فِراقُهما،
وَسَيَنْبعثُ الدفْءُ مرةً أُخرى في قَلبيْنا،

وأَسْتغربُ إذْ أَنظرُ إليْكِ، وأَسمعُ أصواتاً وأغانيَ عِذاباً
تُذكِّرُني بعُهودٍ بَعيدة، وأسْمعُ أنغامَ الأوتارِ
وأرى زَهرةَ البَنفسج تُسْفرُ عنْ
عِطْرهَا، أراهَا عِندَ الغَديرِ ذَهبيّةْ.

مَوْعِظَة

يَا صَدَى السَّماءِ، أيّها القلْبُ الأجْوفُ، لماذَا،
لماذا تَصمُتُ الآن، معَ أنَّكَ لا تَزالُ حيّاً،
وتَنامُ، أيَها الطَّليقُ، جَنبَ الكُفَّار
المَنْفيّينَ أبداً في زَنازينِ اللَّيلِ العَميقْ .

أَوَلَيْسَ نورُ السَّماءِ أبداً يَقظاً؟
وَالأرضُ، أمُّنَا العتيقةُ، هلْ كفَّتْ يوْماً عنِ الإزْهَار؟
أَلَيْستْ روحُ المحبّة تَفرِضُ أبداً
هُنا وهناكَ شَرائِعَها؟

لَسْتَ إلاَّ مُخفقاً ! لَكنَّ قُوى السَّماءِ تَحثُّ،
وتَعملُ صامتةً. أنْفاسُ الطبيعةَ
تَهُبُّ عليْكَ كأنَّكَ حَقلٌ حَصيدٌ،
إنَّها المنيرةُ كلَّ شيْء، إنَّها مُلهِمةُ الرُّوح.

قَريباً، أيّها الأملُ، قَريباً لنْ تَـتَغـنَّى
البسَاتينُ وحْدَها بـمَـديحِ الحيَاة، فَقدْ آنَ أوَانُ
حُلولِ هَذه الرُّوحِ الأبْهى
الَّتي سَتُعْلنُ بأفواهِ الفَانينِ عَنْ قُدومهَا،

وَمرَّةً أُخْرى تَتَّـحِدُ العَناصرُ مَـحبةً معَ البشَرْ
تَتَّـحِدُ وتتشكَّل . أرضُـنَا لنْ تكُونَ ثَريةً أوْ مُكْتملِةً
لَكنْ، حينَ يَشْكرُها الأطفالُ الورِعُون،
سَيَتكَشَّفُ صَدرُها بلاَ حُدودْ،

وَمَـرَّةً أُخْرى نَجدُ أيَّـامَنا الشَّبيهةَ بالأزْهار
حَيثُ يَرى هلْيُوسُ السَّماويُّ نُورَه إذْ تُشاطرُه
الكَائِناتُ بسَكينةٍ مُتواتِرة، فَـيَجـدُ
البَهْجةَ في بَهْجةِ هذه المرايا الفانية.

وَالأُلوهيةُ، تلكَ التي تَتحكَّـمُ في الغيْب
بـخُـطـطٍ سِرِّيـة، تِـلكَ الرُّوحُ المُقيمةُ
في كَلمَاتِ البَشَر، مَرَّةً أُخْرى سَتُخاطِبُ
في الظَّهيرةِ الأجْيالَ القادِمَة.

كَانتِ الآلهَة...

كَانتِ الآلهةُ في مَا مضَى تَسيرُ وَسْطَ البَشرْ،
وكَانتْ رَبَّاتُ الإلْهَام البهيّةُ وكانَ أبّولُو الفَتيّ
كَانوا يُلهمُونَنا ويَشْفونَنا، تماماً كَما تَفعلينَ أنْتِ.
فأنتِ تُحيّينَني كأنَّك أحدُ أوْلئكَ المقدّسِينْ
الّذينَ أرسَلُوني إلَى الدُّنيا. وطَيْفُها،
طَيفُ حَبيبتي لا يُفارقُني،
وحيثُما أَقَمتُ وكُلُّ ما تَعلَّمتْ،
تَعلّمتُه ونِلْتُه منها،
يَظلُّ بالعشْقِ مُتَّقِداً حتَّى الموْت.

فَلْتَدعينَا نَعِشْ، يا مَنْ مَعكِ أَتعذَّبُ،
وَلْيكنْ سَعيُنا وجْدانياً نَحْو عَصر أفْضلَ،
عَصْرٍ يَعُمُّهُ الإيمَانُ والوَفاءُ. فَنَحنُ الْفريدَانْ.
وإنْ يَذكرْنَا النّاسُ مَعاً في عُصورٍ قَادمةٍ،
حينما تَستردُّ الروحُ سَلْطانَها،
فسيقُولُون: هذَان المتوحِّدَانِ الفرِيدَانْ

خَلقَا بالعشْقِ عالَماً مَكنُوناً، لا يُدركُهُ سِوَى الآلهةْ.
سَتَسْتَرِدُّ الأرضُ أولئكَ المنشغلينَ
بالأُمور الزَّائلة: وسَيَصعَدُ غيرُهمْ إلَى الأعَالي،
سَيَصعدُ أولئكَ الأوْفياءُ للعشْقِ الكَامنِ في ذَواتِهمْ،
سَيَصْعدُونَ نَحوَ النُّورِ الأَثيريّ، نَحو رُوحِ الآلهةْ.
هَكذا، بالصَّبر وَالأملِ وَالسَّكينةِ،
يُخضِعُونَ الْقَدَرْ.

إلَى ربَّات القدَر

هَبينِي صَيْفاً واحداً فقطّ، أيتُها المُتحكِّمات،
وَخريفاً واحداً حتَّى تَصيرَ الأغَاني يَانعةْ،
حتَّى يَهْلكَ القلبُ مِنِّي، حتَّى يَهْلكَ بطَواعيّة،
حتَّى يَهْلكَ وهْو مُفعَمٌ بتلْكَ النَّغَماتِ العِذابْ.

فَلنْ تَرتاحَ الرُّوحُ هناكَ في هَاديسَ،
إذَا حُرمتْ وهْي في الحيَاةِ ميراثَها الإلهيّ.
لكنْ، بكَ أُرحِّبُ يا عالَمَ الصَّمْتِ والظِّلاَلْ،
إنْ لَمْ يَخْفِقْ ذلكَ الذي أُقدِّسُه، بكَ أرحِّبْ

إنْ تُفلِح القصيدةُ التي تَستقرُّ الآنَ في قلْبي .
سَأكونُ إذَّاك رَاضياً، معَ أنَّ القيثارةَ التي تُشيِّعُني
نَحو الأسفلِ لَيستْ قيثَارتي. سأكونُ قدْ عِشتُ
كالآلهة، وَلوْ مَرَّةً واحدةً، وذلكَ يَكْفي.

كَيَوْم عِيد

كَيوم عيد يَتفقدُ فيهِ فلاحٌ
حُقولَه، في الصباحْ،
بعدَ انْكسارِ البرْقِ الباردِ في اللّيلِ القَائظْ،
وَالرَّعدُ لازال يَتردَّدُ في الآفاقِ البعيدة،
وَالجَدولُ يَعودُ إلى ضَفّتيْهْ،
وَالأرضُ تَغدُو خَضراءَ صَافيّةً،
وَقطراتُ المطَرِ البهَيج تَنزلُ منَ السَّماء
لِتَستقرَّ علَى الكُروم، والأشجارُ في الأيكِ
تَنْتصبُ لاَمعةً في ضَوْءِ الشَّمسِ الهادئْ ـ

يَقِفُ الشُّعراءُ في الطَّقْسِ المُوَاتي:
أُولئكَ الذينَ لا مُعلِّمَ لهُمْ سوَى الطَّبيعةْ،
فالطَّبيعةُ المُتألِّهةُ جَبروتاً وبَهاءً،
الطَّبيعةُ ذاتُ الحضورِ الشَّاملِ الرَّائعِ،
تُعلِّمُهمْ في حضْنِها الحَنُونْ.

وَحينَ تَبدو الطَّبيعةُ في بعْضِ المَواسم نائمةً،
في السَّماءِ أوْ وسْطَ النّباتاتِ أوْ بينَ الأُمَمْ،
فإنَّ الشُّعراءَ يَبدُونَ أيْضاً حَـزاتـى.
يَبدُونَ في عُـزْلةٍ، لَكنَّ نُبوءتَهم مُتواصلةً.
فالطَّبيعةُ ذَاتُها تَعلَمُ الغيْبَ حتَّى في سُباتَها.

وَها هو النَّهارُ يَنبلجُ الآنَ! وقدْ انْتظَرتُ كيْ أَراهُ يُقبلُ،
وَما رأيتُ ـ كَلماتي تُوحي بالقَداسَة!
فالطَّبيعةُ، وهْي أقْدمُ من الزَّمنْ،
أَفاقتْ علَى صوْتِ السِّلاحْ،
وكانتْ أعْلَى منْ آلهةِ الشَّرق ومنْ آلـهـةِ الغَرْب.
الطَّبيعةُ الخالقةُ كُلَّ الأشْياءِ تُحسُّ ثانيةً بالحَماسَة،
وَمنْ أعَالي الفَضاءِ إلَى قرارِ الهَاويّة،
غَـدتْ كما كانتْ في البدْءِ حينَ تَـولَّـدَتْ،
حَسْبَ القَانونِ الثّابت، منْ الفوْضَى الشَّاملةِ المقدسة.

وَكَما تَتوهَّجُ النارُ في عَيْنِ شخْصٍ
يُـدبرُ أمْراً عظيماً،

تَتّقِدُ النّارُ في أذْهانِ الشّعَراءْ،
تُوقِدُها عَلاماتُ الكوْنِ ومَآثرُه.
ما حدث منْ قبل، ولم يَكدْ يُدرَك ،
يَصيرُ الآنَ، ولأوَّلِ مرّة، ظاهراً للْعيَانْ.
وَأُولئكَ الّذين كَانوا يَحرُثونَ حُقولَنا
مُتّخذين هيْئةَ كادحينَ يَبْتسُمونَ لنا
أَدركْنا الآنَ أنَّهم
قوى الآلهةِ الحيّةْ.

فَهلْ تُشكّكُونَ فيهمْ؟ مُغرِّدةً تَطوفُ رُوحُهْم،
مُنبثقةً منْ شمْسِ النّهارِ ودفْءِ الأرْضِ،
وَمنَ العَواصفِ، عَواصفِ الفضاءْ،
وَعَواصِفَ غيرهَا ناشِئةٍ ، في أعْماقِ الزّمنِ، منْ أصلٍ أبْعدَ .
هَا نَحنُ الآنَ نُدركُهمْ ونُحسِنُ فَهمَهُمْ،
إذْ يُحلّقونَ مُنْسابينَ بينَ السَّماءِ والأرْض، وَوسطَ الأممْ.
إنَّهمْ خَواطِرُ الرُّوحِ المُشترَكِ
تَستقرُّ هادئةً في ذِهنِ الشَّاعرِ،

فِي ذِهْنٍ تَصْعقُهُ الذِّكْرى وتُزلْزِلُهُ،
لأُلْفتِه القَديمةِ بالمطْلق.
وَإذْ يَتَّقدُ ذِهْنُ الشَّاعر بالإشْعَاعِ المُقدَّسِ،
يُبدِعُ الأُنشودةَ ـ ثمْرةَ الحُبّ،
إبْداعَ الآلهةِ والبشَر،
الّذي يَشهدُ عليْهما معاً.
هَكذا صَعقَ البرقُ بَيْتَ سيميلي لأنَّها،
كما يَروْي الشُّعراءُ، أرادَتْ أنْ تَخْتلي
بالرَّبّ وتَراه. وإذْ يَصْعقُها الرَّبُّ،
تُنجِبُ باخُوس المُقدَّسَ،
ثمرةَ الصَّاعقَة.

وَهكَذا يَرشفُ أبناءُ الأرض الآنَ
نارَ السَّماءِ دُونَ أنْ يَهْلَكُوا.
وَوَاجبُنا، نَحنُ الشُّعراءَ، أنْ نَقفَ
حَاسري الرُّؤوسِ تحْت عَواصفِ الرَّب،
مُمْسكينَ بأيْدينا نَحْنُ
شعاعَ الأبِ ذاتَه،

وَاجبُنا أنْ نُقدمَ للنَّاسِ هبَةَ السَّماءْ
مَلْفُوفةً في القَصيد.
فإنْ كانتْ قُلوبُنا كالأطفالِ صافيةً،
وكانتِ أيْدينا بريئةً،
فَلنْ يَكونَ إشْعاعُ الرَّبّ الصَّافي مُحْرِقاً،
وَسَيتحَمَّلُ القَلبُ المَهزوزُ منَ الأعْماق
العَواصفَ الهوْجَاء، إذْ يُشاطِرُ آلامَ
الرَّب الأقْوى حينَ يَقتربُ.

[لَكنْ، وَأسفاه، لَيْتَ ...

أسفاه!
لوْ أقولُ الآن...

لَقدْ جِئتُ لأرى الآلهةَ،
فهْي ذاتُها التي قَذَفتْ بي إلَى الأحْياء،
أنا، الكَاهنُ الكاذِب، قذفتْ بي إلَى الظَّلامْ،
كَيْ أُنشدَ أغنيةً تُنذرُ مَنْ بُوسْعهمْ أنْ يتعلَّمُوا .

هُـنـاك ـ

[قَلبي يَنزفُ لأنَّني أدْميتُه، فَأفْقدُ السَّكينةْ،
وأفْقدُ رضَا النَّفسِ الذي اخْترتُهُ بمحْض الإرَادة،
وحينَ يَدفعُني القَلقُ والإمْلاقُ نَحْو تَرَفِ المائدةِ في مَأدُبَةِ الآلهة،
حينَ أرى كلَّ شَيء من حولي يـ...][1]

---

1. هذه الأبيات مأخوذة من صيغة منثورة من أعمال الشاعر
Grosse Stuttgarter Ausgabe، Vol. II، pp. 669-70
وقد أوردتُ هنا في الجزء الثاني من طبعة شتوتغارت للأعمال الكاملة، محاولة لسد الفراغ المفاجئ في هذه القصيدة.

الوَطَن

النُّوتيُّ علَى النَّهرِ الصَّامتِ يَعودُ نَحْو الوطَن
يَعودُ منْ جُزرٍ نائيةٍ كانَ يَجْني فيهَا غلالَهُ،
أَشْتهي أنْ أعودَ أنا أيضاً إلَى الوطَنْ،
لَكنْ مَاذا جَنيْتُ سِوَى الأسَى؟

أَيتُها الضِّفافُ التي بها تَرعْرعْتُ، هلْ تَستطعْنَ
أنْ تُسكِّنَّ أحْزانَ العِشْق؟ آه، هلْ تَستطعْنَ
أنْ تَمنحْنَني غاباتِ الطفولةِ حينَ أَؤُوبُ إليْكنّ ؟
هلْ تَستطعْنَ أنْ تُعِدْنَ إليّ تلكَ السَّكينةْ؟

سَأكونُ هناكَ قريباً، جَنْبَ ذلكَ الجدْولِ البَاردِ الذي رأيتُ
المُويْجاتِ فوقَهُ تَلعب، جنب ذلكَ النَّهرِ الذي شاهدتُ
المراكبَ عليْهِ تَنسابُ ؛ أيتُها الجبالُ التي أَحْبَبْتُها
طَويلاً، يا جبالاً كانتْ في مَا مضَى تَحْميني،

يا تُخومَ مَوْطني الجليلةَ التي لاينازعني فيها أحدْ،
سَأنْعمُ قريباً بعناقِ الأُختِ والأَخِ الحَبيبيْن؛
وَستَحضنُني يا مَوْطني حتَّى يَنعمَ بالشِّفاءِ قلْبي،
كأنَّ حضْنَك ضَمَّدَهْ،

أَنتَ يا مَنْ لا تَزال وَفيّاً! لكنَّني أعْرفُ،
أعْرفُ أنَّ قَرْحَ العِشْقِ يَعْسُرُ شِفاؤُه،
فَمِنْ هذا القَرْحِ لا يُمكن أنَ تَشفيَ قَلبي
أيُّ أُغنيةٍ يُهَدْهِدُ بهَا البَشرُ صِغَارَهمْ

فَالآلهةُ، تلكَ التي أَعَارتْنا النارَ السَّماويةَ،
وَهبَتْنا كذلكَ الحزَنَ المُقدَّسَ، فَلْتَكنْ مَشيئتُها.
يَبدُو أنَّني وَاحدٌ من أبناءِ الأرض:
وُلِدْتُ كيْ أعْشقَ وأتألَّمْ.

ڤلْكان

تَعالَ الآنَ يا روحَ النَّار الوَدودَ، وَلُفَّ
العُقولَ المرهفةَ، عقولَ النّساء، في خِمَارٍ منْ غَمامْ،
لفَّها في أحْلام ذهبّيةٍ، واحْفظْ هُناكَ
السَّلامَ المزهر، سَلامَ الطيّبين أبداً.

دَع الرَّجُلَ دائمَ الرّضَا عَنْ تأملاتِه،
عَنْ عَملِه، عنْ نُور شَمْعتِه وعنْ غَدِه،
وَلا تُثْقِلنّ كاهلَه بمشَاكلَ كثيرةٍ تُرْبكُهُ،
وَلا بهُمومٍ تافهةٍ، تافهةٍ، حَقيرة.

حينَ يَهجمُ الآنَ في اللّيل ذلكَ الثَّائرُ دائماً،
عَدُوِّي منذُ الميلاَد، حينَ يَهجمُ بورْيَاس،
ويَغْمرُ الأرضَ بالجليدِ في وقتٍ مُتأخّرٍ بعْدَ مُنتَصفِ اللَّيل،
وَيَصْدعُ - ساخراً منَ النَّاس - بنَشيده الحرْبيّ

وَيَقْصِفُ أسْوارَ مدينتِنا ويُحطِّمُ سياجاً
كَدَحْنا طويلاً لنُقيمَه، ويَعصفُ بالبُسْتانِ الهَادئ،
بَلْ يُشَوِّشُ علَى رُوحي
إذْ تُؤلِّفُ ألْحانَها، فَكلُّ شيْءٍ يَستفزُّهُ،

وإذْ يُهيِّجُهُ الحِقدُ يَصبُّ على الجدْولِ الوَديعْ
عَبواتِ سَحَائبه السَّوداءِ، إلَى أنْ يَفُورَ
الوادي النَّائي العَريضُ، وتَهوي الصُّخورُ العظيمةُ
مِنْ جوانب التِّلالِ المتفجّرةِ كالأوراقِ السَّاقطةْ.

الإنسانُ - يقيناً - أكثرُ ألُوهيةً
منْ كُلِّ مَن يُقاسِمُه الحياةَ، لكنَّه - إذْ يُواجهُهُ الحقدُ بالخارج -
يَصيرُ أكثرَ إنْسانيةً ويَستقرُّ في كُوخِه آمناً مُتأمِّلاً -
هذا الفَاني الّذي خُلقَ حُرّاً.

وَهناكَ - على الأقلّ - روحٌ واحدٌ رَءوفٌ بالإنْسانْ،
لا يَزالُ يُساكِنُهُ هناكَ بمَسرَّةٍ، لا يَزالُ يُبارِكُهْ،
وَلوْ قُدِّر لكلِّ الأَرواحِ الأُخرى - كُلِّ القوى الضَّاريةِ
الجاهِلَة - أنْ تَثورَ وتَعصفَ، فالمَحبةُ ستَظل وَدوداً حَنوناً.

شَجاعَةُ الشّاعر

أَلـيْسَ كُلُّ منْ هُو حَيٌّ قريباً منكَ وذَا صِلـةٍ بـك،
أَلـيْسَتْ رَبَّـةُ القَدَرِ نفسُها تَرعاكَ لِتخدمَ أهدافَها؟
وَاصِـلْ، إذنْ، سَـفرَكَ عَبْرَ الحياةِ
أَعْـزلَ، ولا تَخْشَ أيَّ شيءٍ هُنـاكْ!

وَلْتَقْبَلْ وتُبارِكْ كُلَّ ما يَحدثُ هناكْ ،
كُنْ بالبَهجَةِ خَبيراً، أَهُنـاكَ أيُّ شيءٍ
قَدْ يُؤذيكَ أيّها القلْبُ، أيُّ شيءٍ
قَـدْ يَسُوؤكَ هناكَ حَيثُ يَنْبغي أنْ تَذهبْ؟

فَكَـما يُسافرُ السبَّاحُ الواهنُ هادئاً
بالقُرب منَ الشَّواطئ، أَوْ في السَّيْلِ الهَـادرِ
منْ بَعيدٍ، أوْ فَـوقَ تلكَ الأَعْماقِ الصَّامتة،
نُحِـبُّ أنْ نَكُونَ نَحنُ أيضاً هناكَ

حَيثُ يَتنفَّسُ ويَحْتَشِدُ أولئكَ الأَحْياءُ، أقاربُنَا،
نَحنُ شُعراؤُهم؛ وإذْ تَغمرُنا المَسَرَّةُ، نُغْدِقُ على كلٍّ واحدٍ
مِنهُم مَودَّتَنا، ونُوليهِمْ جميعاً ثِقَتَنا، وهَلْ منْ وَسيلةٍ غيْر هذه
نَستطيعُ بهَا أنْ نَتغنَّى بإلَهِ كُلِّ واحدٍ منهُمْ؟

وَمعَ أنَّ المَوْجةَ المُداهنَةَ قدْ تَسْحبُ أحياناً نَحوَ الأَعْماق
رَجُلاً شُجاعاً كهذا، حيثُ يَتلَمَّسُ، يقيناً، طَريقَهُ واثِقاً،
وَيَهْوِي الآنَ في الصَّمْتِ صَوتُ الشَّادي
إذ يتَلَوَّنُ البَهْوُ بالأزرقْ؛

فإنَّه يَموتُ مَسرْوراً، ولاَ تَزالُ بَساتِينُهُ مُوحِشةً، تَنْدبُهُ،
تَندبُ هذَا الّذي كَانتْ قدْ أحبَّتْه وفَقدتْه، رَغمَ أنَّهُ غَرِقَ مُبتهِجاً؛
غالباً ما سَتَسْمعُ عَذْراءُ
أُنشودتَهُ الرقيقةَ في الغُصونِ البَعيدةْ.

وَحينَ يُخيِّمُ اللَّيلُ سَيَمُرُّ رُجلٌ مثلُه، واحدٌ من رَهْطِنَا،
بالمكانِ الذي كانَ قدْ غَرِقَ فيه، وسَيُثيرُ فيهِ هذا المكانُ
المُنْذِرُ خَواطرَ وأشجاناً كثيرةً،
ثُمَّ يُواصِلُ، في صَمْتِ سَيْرَه، وقَدْ صَارَ آمِناً.

هَلَع

أَوَلَيْسَ الكثيرُ منَ الأحْياءِ معْروفاً لَديْك؟
أَوَلَيستْ قَدمَاكَ تَطآنِ الحَقَّ كَما تَطآنِ السَّجَّادْ؟
اقْتحِمْ إذنْ جَسُوراً، يا عزيزيَ العبْقريّ،
اقْتحِمْ تَوّاً خِضَمَّ الحيَاةْ!

وَلْتَتَقَبَّلْ كُلَّ ما يَحدُثُ هُناكَ، وَعُدَّهُ نِعْمةً عليكْ!
تَهَيَّأْ لأَنْ تُحِسَّ بالبَهْجَة، أَهُناكَ أيُّ شَيءٍ
قَدْ يُؤْذيكَ أيُّها القلب، أيُّ شَيْءٍ
قَدْ يُهينُكَ هُناكَ حَيثُ يَنبغي أنْ تَذهبْ؟

فَمُنذُ أنْ صارَ الآلهةُ مثلَ البَشَر، مُنْعزلينَ كَوُحُوشِ الغَاب،
وَمُنذُ أنْ أَعادتِ الأُغنيةُ والتَّرْتيلُ الباذِخُ ، كُلٌّ بأَسْلُوبه،
أَعادتْ الإلَهيَّ مُشخَّصاً إلَى الأرْض،
وَنَحْنُ أيضاً، نَحنُ أَلْسِنةَ النَّاسْ،

نُحبُّ أنْ نَعيشَ في صُحْبتِهِمْ،
حَيثُ تَتَّحدُ كلُّ الأنْوَاع، سَواسيةً، وَمُتفتِّحةً
على الجميع، تَغمرُها البهْجَة ـ
فَكذلكَ أَبُونا، رَبُّ السَّماءِ،

الذي يَمنَحُ الغَنيَّ والفقيرَ يَومَ الشُّكْران،
وَعندَ انْعطافِ الزَّمنِ يَحْملُنا، نَحنُ النَّائمينْ،
بأوْتارهِ الذَّهبيةِ كما يُحمَلُ الرَّضيعُ
فَنَظَلُّ مُسْتقيمينْ.

نَحنُ أيْضاً نَخدمُ شَخْصاً مّا، نُفيدُ بشكْلٍ مّا، نُبْعَثُ
حينَ نأتي، ببَراعتِنا، ونُحْضِر معنَا
طاقةً منَ الطّاقاتِ الإلهيّة. لَكنَّ الأيْدي
الخبيرةَ الماهرةَ أيْدينا نَحْنْ.

النّهْر المغْلُول

لماذَا تنامُ وتَحلمُ، مُنطَوياً على نَفْسِكْ،
وَتَتباطأُ عندَ الضَّفةِ البارِدَة، أيّها الفتَى الصَّابر،
وَلا تُبالي بأَصْلِكْ،
يَا ابْنَ أوقْيانُوسَ العظيمِ، صَديقِ الجَبابرةِ التّيتَانْ!

تلْكَ الرُّسُلْ، رُسُلُ المحبّة التي يبعثُها أبوكْ ،
أَلسْتَ تَعرفُها، تلكَ الرياحُ التي تَنفخُ فيكَ الحياة؟
أَلَمْ تُنَبِّهْكَ تلكَ الكلمةُ التي يَبعثُها
منَ الأعَالي ذَلكَ الرَّبُ السَّنيُّ المُتحفّزُ؟

لَكنَّها الآنَ، الآنَ تَتَصادَى فيه،
تَنْبَجسُ لأجْلِهِ كَما انْبَجَسَتْ حينَ
كانَ يَلعبُ في كَنَفِ الصُّخُور،
فَيَتَذَكَّرُ قُوَّتَه، يَتَذَكَّرُ عُنْفوانَ فُتُوَّتِه الآنَ، ويَنْدَفعْ،

يَنْدفِعُ الـمُتلكِّئُ، ويَضحكُ منْ أغْلالِـه الآنَ،
ويَنْقَضُّ على الأغْلالِ يُكسِّرُها ويَقْذِفُها،
غَاضباً، وهْوَ يَلعبُ هُنا وهُناكْ
علَى ضِفافٍ تُرجّعُ الصَّدَى، ولدَى سَماعِ صَوتِ

سَليلِ الآلهةِ تَستيْقظُ كُلُّ الجبَالِ منْ حَولِه،
وتَتَحرَّكُ الغاباتُ، بوُسْعِ الوهادِ أنْ تَسمعَ
المُنادي البعيدَ، وهَاهيَ البَهجةُ تَهتاجُ
إذْ تُثِيرُها رَعْشةٌ في حضْنِ الأرضْ.

يُقْبلُ الرَّبيعُ، تتألقُ خُضْرةٌ جديدةٌ، فَجْرٌ منَ الأوراقْ؛
لَكنَّه يَرحلُ بعيداً، إلى قريبه الخَالدْ؛
فَلَيْسَ بوُسْعهِ أنْ يَستقرَّ في أيِّ مكانٍ
إلاَّ حيثُ يَستقبلُهُ حضنُ أبيهْ.

جنيمِيد

لِماذا تَنامُ، يا ابْنَ الجبال، لماذا تَرقدُ هُنا مُلْتوياً، مُكدَّرَ المزاج،
وَتَتَجمَّدُ على ضِفَافِ عَاريّة، عاريّة، أيُّها الصَّابر؟
أَوَ لَسْتَ تَذْكُرُ اللُّطفَ يَتَنَزَّلُ
حِينَ كانتِ الموَائدُ الإلهيّةُ ظامئةْ؟

أَمَا تَعرّفتَ هناكَ في الغَوْرِ علَى رُسُلِ أبيك،
أوْ علَى الأنْسَام تُمْعِنُ في عَبثِها هناكَ بينَ الشُّقوق؟
أَوَ لَمْ تُنَبِّهْكَ الكلمةُ التي يَبْعَثُها إليْكَ
الآنَ مُسافرٌ مَليئةً بالرُّوحِ العتيق،

لَكِنَّ الكلمةَ تَتردَّدُ الآنَ عَميقةً في قَلْبه،
تَنْبَجِسُ في بَاطنِه كَما انْبجَستْ منْ قَبلُ،
حِينَ غَفَا هناكَ في الأعَالي بينَ الصُّخورْ،
هَا هوَ المغْلولُ الغَاضبُ يُطهِّرُ نفْسَه ويَندفعُ،

هَا هوَ الأَخْرَقُ يَندفعُ الآنَ، يَضحَكُ منَ الأغْلاَل،
يَتَناولُها ويُكَسِّرُها وَيَقذِفُها أرْضاً،
يُعرْبدُ غاضباً، ويَلْهُو هُنا وهُناكْ
علَى ضِفَافٍ تَرْقُبُه، وإذْ يُسمَعُ الصَّوتُ الفَريدُ

صَوتُ الغَريب، تَهُبُّ قُطعانٌ كانتْ تَستريحْ،
تَستيقظُ الغاباتُ، وَبعيداً تَسمَعُ كلُّ الأَرْجاءِ
إلَهَ النَّهر، وتَرتَعشُ الرُّوحُ
إذْ تُهيَّجُ الآنَ عندَ سُرَّةِ الأرضْ.

يُقبلُ الربيعُ. وكلُّ الأشياءِ في طَريقِهِ تُزْهِرُ.
لَكنَّهُ الآنَ بَعيدٌ، لَمْ يَعُدْ مَوجوداً هُنا.
لَقدْ ضَلَّ الطَّريق؛ فالجنُّ مُفْرطونُ في الطّيبُوبة،
وَلَهُ الآنَ أنْ يُناجِي الآلهةْ.

الأرخَبيل

هَلْ تَعودُ الغَرانيقُ إليْك، وَهَلِ المْراكبُ في طَريقِ العَوْدةِ
إلى سَواحِلِك؟ هَلِ النَّسماتُ التي طال تَوقُكَ إليها تَسري الآنَ
حَولَ أمْواهِكَ الْهادئَه؟ وَهَلْ يُدْفئُ الدّلْفينُ، إذْ يُستدْرَجُ
منْ تَحْتِ اليَمِّ، هَلْ يُدْفِئُ ظَهْرَهُ في الشُّعاعِ الوَليد؟
هَلْ أيُونيا مُزْهِرةٌ؟ أَهذا مَوْسمُ الإزْهار؟ أنا دائماً أزورُكَ في الرَّبيع
حينَ تُجدِّدُ قُلوبُ الأَحْياءِ ذاتَها، ويَعودُ العَصْرُ الذَّهبي إلى الذِّكرى،
وَيَعودُ إلَى وَعْيِ الإنْسانِ حُبُّهُ الأوَّلُ. في الربيع أزورُكَ دائِماً،
يا إلهَ البحْر، وأُحَيِّيكَ، أُحَيِّيكَ في هُدوئِكَ، أيُّها الإلهُ العَتيقْ.

لاَ تَزالُ كَعهْدِكَ حَيّاً، أيُّها العظيمُ الخالد،
تَستريحُ في ظِلِّ جبَالِك؛ كعهْدكَ حينَ كانتْ
ذِراعاكَ الْفتيَّتانِ تُعانِقانِ أَرضَكَ الْجَميلة.
ومنْ بناتِكَ، أيها الأبُ، منْ جَزائرِكَ المُزْهِرة، لَمْ تُسلَبْ جَزيرة.
هاهيَ كْريتُ كعهْدها ثابتةٌ، وهَا سَلاميسُ تَخْضَرُّ مُطوَّقةً
بدُكْنَةِ الْغار، وهَا ديلُوسُ تُطوِّقُها، في ساعةِ الشروقِ، أشِعَّةٌ مُزهرة؛

ها هيَ الآنَ تَرفعُ رأسَها النَّشوانَ. و تنُوس و كيوس لاَ تزالان
تَطْرحانِ بسَخاءٍ ثِمارَهُما الأُرْجوانيّة، وها هيَ الخَمرُ القُبرصية
تَتَدفَّقُ منْ جَوانب التِّلال الثَّملَة، بينما تَنْدفِعُ منْ كالُورْيَا،
كَما كانتْ منْ قَبلْ، غُدرانٌ فِضيّةٌ لِتصُبَّ في رحَاب الأب العتيقَةْ.
كُلُّ وَاحدةٍ منْها، كُلُّ واحدةٍ منْ تلكَ الجَزائر، أُمهاتِ الأَبْطال،
تَحيا مُزهرةً عاماً بعدَ عام، وإنْ يُطلَقِ الرَّعدُ الخَفيُّ أحْياناً
مِنْ لُجَجهِ الأُولى، إنْ يُسلَّطْ لَهبُ اللَّيْلِ على تلكَ
الجزائرِ الحبيبة، يَنْتزِعْ واحدةً منها، فَتغرقَ مُحتضرَةً في حِجْرك.
لَكنَّكَ تَحمَّلْتَ فَخلدْتَ، أيها الإلهي، فقدْ رأيتَ أشياءَ كثيرةً
تَصعدُ، ورأيتَ أشياءَ كثيرةً تهْبطُ، فوقَ أعْماقكَ الكئيبَة.

السَّماويونَ أيضاً، قُوى الأَعالي، القُوى الصَّامتة،
أولئكَ الذين يُحضِرونَ النهارَ المُشرقَ منْ بَعيدْ،
ويُسَلِّطونَ النُّعاسَ العَذْبَ والهَواجسَ علَى رُؤوس
الأشْخَاص المُرهَفين، لأنَّ سُلطانَهم لا يُحَدُّ، أولئكَ أيضاً،
أقْرانُكَ في اللَّعب، لاَ يَزالونَ، كَما كانُوا منْ قبلُ،
يُقيمونَ مَعكَ. وعندَ حُلولِ اللَّيلِ الوَامِض، حيثُ يُقبلُ
نُورُ القمَرِ المقدّس من جبال آسيا، وتَتلاقى النُّجومُ

في أمْواجِكَ، غالباً ما تُشرقُ أنتَ بإشْعاعٍ إلَهيّ،
وَكما يَتغيَّرُ أوْلئكَ السَّماويّونَ تَتَغيَّرُ مياهُكْ،
وَيَجدُ لحنُ إخْوَتِكَ السَّماويين، وَغِناؤُهمُ الليلي،
صَداهُ في قَلبك. وبَعْدئِذٍ، حِينَ تُقبلُ تلكَ التي تُضْفي
علَى الكائناتِ هَالاتِ الجلال، حينَ تُقبلُ
طِفْلةُ المشرقِ، شَمسُ النَّهار، صَانعةُ المعْجزَاتْ،
حينَ يَدخلُ كلُّ الأحْياءِ مرةً أُخْرى في حُلْم ذهَبي تَمنحُهمْ إيَّاهُ
الشَّمسُ الشَّاعرةُ كلَّ صباح، آنَئذٍ، تُرسِلُ إليكَ، يا إلَهَ الحِدَاد،
فِتْنةً أشدَّ إسْعاداً، أمَّا نُورُها اللَّطيفُ فَلا يُضاهيَ
جَمالَ عُرْبون حُبّها، وعُربونُ حُبّها إكْليلٌ تَجدلُهُ
حَولَ ذُؤاباتِكَ الشَّائبة، وهْيَ بكَ أبداً مُعتَنيّةْ.
أَوَلا يُعانِقُكَ الأثيرُ؟ أَوَلا تَعودُ الْغيْماتُ، وهْيَ رُسُلُكَ،
منَ الأعَالي بالهِبَةِ الإلهيّة، صَعْقةِ الرَّعْد؟ ثُمَّ تُرسلُها أنْتَ
إلَى الأَرْجاءِ لِكيْ تَهْدرَ وتَندفعَ جَيّاشةً مثلكَ تلكَ الغَاباتُ
التي أسْكَرتْها العَواصفُ علَى الشَّواطئ الحَارَّةِ الرَّطيبة،
وَلِكيْ يَعودَ الميانْدُر فَوْراً، مثلَ ابْنٍ ضَال إذْ يُناديهِ أبُوهُ،
يَعودُ مُستعْجِلاً منْ تِيههِ ومعَهُ آلافُ السُّيولْ،
وَمنْ سُهُول كايسْتر، يَجْري مُتَهَلِّلاً لِيُلاقِيكَ، وها هُو

الوَليدُ الأَوَّلُ، ذَلكَ العَريقُ، ذلكَ الذي أخْفَى نَفْسَهُ طويلاً،
نيلُكَ العَظيم، ها هُو يُقبلُ منْ أعَالي الجبَال البَعيدةِ ظافراً،
مُحْدِثاً أصْوَاتاً كصَليلِ السِّلاَح، يَمُدُّ إليكَ ذِراعيْه مُرَحِّباً.

لَكنَّكَ تحسَبُ نفْسَك وَحيداً مهْجُورا؛ وفي سُكُونِ الليلِ يَسمعُ
الصَّخرُ مَناحتَكَ، وغالباً ما تَفِرُّ مَوجتُك المجنّحةُ منَ الأَنام غَضْبى
وَتَصعدُ نَحْو السَّماءِ. فَأحِبَّاؤُكَ النّبلاءُ لمْ يعُودوا يُقيمونَ مَعكْ،
أُولئكَ الذينَ كَانُوا يُجلُّونَك، أولئكَ الذينَ تَوَّجوا بالمعَابدِ
وبالمُدنِ البَديعةِ سَواحلَكَ، لكنَّهم يَسْعونَ أبداً دونَ أنْ يُصيبُوا،
وكما يَتوقُ الأبطالُ إلَى الأكاليل، تَرى العناصرَ الجوْفاءَ
أبداً تَتُوق إلَى أنْ تُحِسَّ القُلوبُ المرْهَفةُ بمجدِها وتُخلِّدهُ.

والآنَ أَخبرْني أينَ أثينا؟ هَلْ تَفتَّتتْ مدينتُكَ كلُّها،
هَلْ تَفتتتْ في مِزْهرياتِ الفنَّانينَ العِظام أحبُّ المدَائنِ إليْكَ،
فَغدتْ علَى شواطئكَ غُباراً، يا إلهَ الحدَاد؟ أوْ أنَّ ثمةَ أثراً منْها
لاَ يَزالُ هناك، أثراً لا يَزالُ يُمكّنُ بحَّاراً عابراً من أنْ يَذْكرَ اسْمَها،
منْ أنْ يَتَعرَّفَ على الموْقع ويَتذكَّرَها؟ أَوَلَمْ تَنْتصبِ الأعْمدةُ هَا هنا؟
أَوَلمْ تُشرقْ تماثيلُ الآلهةِ على النَّاسِ منْ سَقْفِ القلعةِ هُناك؟

أَوَلـمْ يَـصْدَعْ منْ حَلبةِ الصِّراع صَوتُ القَوم الـمُـتَّـقِـديـن
مثلَ غاباتٍ تَجْلِدُها العَواصفُ، أَوَلـمْ تَـنْـدَفـعِ الشَّوارعُ
منَ الأبْواب الـمُبْتهـجَةِ نَحوَ مَرْفئِكَ المزدهرِ لِتُلاقيكَ؟
انْـظُـرْ! ها هُو التّاجرُ الماكـرُ يَـفُكُّ مِرْساةَ سَفينته هُناكْ ،
إنَّهُ سَعيدٌ لأنَّ النَّسَماتِ اللَّواتي يَـهَبْنَ الـجَناحَ
يَهْبُبْـنَ لأجْله أيضاً، الآلهةُ تُحبهُ كما أحبَّتِ الشَّاعر،
لأنَّـهُ وَزَّعَ بالقِسْطِ هِبَاتِ الأرْضِ الطَّيبة
وَوَصلَ القريبَ بالبعيد. بَعيداً، بَعيداً يُبْحِرُ
نَحوَ قُبرصَ، بعيداً يُبحرُ نَحو صُورَ، ويُجهدُ نَفْسَه
لِيَبْلغَ كُولْكيسَ، ثُـمَّ يَمضي نَحو مِصْر العتيقةِ، لِكيْ يَجْلبَ
إلى مَدينتِه الخمرَ والطّلاءَ الأرجُوانيَّ والقمْحَ والأصْوَاف؛
وغالباً ما يَتجاوزُ أعْمدةَ هرْقَل الـجَسورَ، تَحملُهُ آمالُهُ
وَأَجْنحةُ سَفِينِهِ إلى جُزُر مُبـاركَـة جديدة،
بيْنَما يَتسكَّـعُ هنا فَتًى مُتوحِّد، تُـحـرِّكُـهُ دَوافـعُ مُـختلفةٌ،
يَتسكَّـعُ على شَواطئِ المدينة، مُسْتمعاً إلَى الأمْواجْ،
مُتأمِّـلاً إحْساساً باطنيّاً بالعظَمة، وهْوَ جالسٌ
يُصْغي عندَ أقْدام السّيدِ الـمُزَلْـزِلِ الأَرضَ؛
وَلـمْ تَكُنْ سُدىً تلكَ التَّعاليمُ التي تَـلقَّاها منْ إلَـهِ البحْر.

وهَا هُوَ عَدُوُّ النُّبوغ، الحاكمُ الفارسيُّ الذي بَسطَ على الأصْقاع حُكْمَهُ،
والذي قضَى أعْواماً كثيرةً يُحْصِي أَسْلحتَهُ الوفيرةَ ويُحْصي تَعدَادَ جُنْده،
سَاخراً من بلاَدِ الإغْريق وجُزُرها الصَّغيرةِ القَليلَة، التي بَدتْ لهُ تافهةْ.
لكنَّهُ رأى، كَما يَرى الحَالِمُ، شَعْبَ هَذه البلاَدِ تُلهمُهُ روحُ الآلهةْ.
وفوْراً أصْدرَ أمرَه باسْتهانَة، فَبَدَا كأنَّ سيْلَ الحُمَم الجبليّ
المُتدفِّق مُروعاً من إتْنَا يَفورُ إذْ يَغْمرُ كلَّ الأنْحاءْ
فيَدْفنُ بطُوفانه القُرمُزيِّ المدنَ والحَدائقَ المزْهرةَ،
وَيَمْضي في طَريقه مُحْرقاً إلَى أنْ يَنطفئَ في البحْرِ المقدّس؛
هَكذا بَدَا ذلكَ الملكُ، مُنذُ أن انْطلقَ منْ همَدانْ
قَائداً حشْدَه العَظيم، يُخرِّبُ ويُشْعلُ الحَرائقَ ويَطْمسُ المدُنْ؛
فَسقَطتْ، يا لَلْويْل، أثينا العَظيمَةُ. حقّاً، ها هُمْ الرّجَالُ المسنُّونَ
الذينَ لاذُوا بالفرَارِ ينْظُرون، منَ الجبَالِ حيثُ تَسْمعُ الوحوشُ
الضَّاريةُ صيَاحَهُمْ، لِيَرْوا بُيوتَهم، ويَروْا معابدَ يَتصاعدُ منْها
الدُّخَان، فَيحاولونَ جَاهدينَ أن يَعودُوا هناك.
لكنَّ صَلَواتِ أبنائِهم مَا عادتْ تُوقظُ الأطْلالَ المقدّسَةْ؛
فَقدْ حَلَّ الموتُ بالوَادي، وهَا هيَ غيْمةُ الحَريقِ الهائلِ
تَشْرُدُ في السَّماء. وها هُو الفارسيُّ، تُلهبُهُ جريمتُه، يَتقدَّمُ
ومعهُ غَنائمُه، لِيَحْصُدَ المزيدَ من الغنائمِ في تلكَ البلاَدْ.

لَكنْ علَى شَواطئ سلاَميس، يا لَيْوم على شَواطئ سلاميسْ!
تَقفُ نساءُ أثينا بانتظار النِّهايةِ. تَقفُ العَذارَى،
و تَقفُ الأمَّهاتُ يُهدْهِدْنَ صغاراً أنْقذْنَهُم من المَجزرَةْ؛
لكنَّ صوْتَ إلهِ البحْرِ يَصْعدُ منَ الأعْماق لِيبلُغَ
هَؤلاءِ المُصْغيات، ويُبشِّرَ بالخلاَص، وَيتفرجُ أربابُ
السَّماءِ مِنْ عَليائِهمْ يَتأمَّلونُ ويُصْدِرونَ الأَحْكامْ،
فَهناكَ علَى الشَّواطئ، بدأتِ المعْركة، مُنذ الفجْر، تَنقلب،
فبدتْ مثلَ عَاصفةٍ رعْديّةٍ كانتْ تَتَجمَّعُ هناكَ ببطء فوقَ
الأَمْواهِ المزْبدة، لتَتَّقِدَ عندَ الظَّهيرةِ فوقَ رؤُوسِ مُقاتلينَ
مَنَعتْهم شَراستُهم منْ أن يَنتبهُوا إليْها. لَكنَّ رجالَ القوم،
أحْفادَ الأبْطال، يُكافحُونَ الآنَ بعيُونٍ أصْفى ؛
إنَّهم أحِبَّاءُ الآلهة، وهَا هُمْ يَتذكّرونَ نَصْراً كانَ قَدْ قُدّر لهُمْ،
وَلمْ يَعدْ أبناءُ الإلَهةِ أثينا يُروِّضونَ نُبوغَهمُ الذي يَحتقرُ المَوْتْ.
فكَما يَنهضُ وَحشُ الفَلاةِ الضَّاري، مُسْتَقْوياً بدَمه الدَّافِق،
وَيَتَّخذُ مرةً أُخْرى هَيئةً حوْلَها هالةٌ منَ الجَلال، ويَصيرُ بقوّته
أقربَ إلَى نفْسه النّبيلة، فيُفزِعُ الصَّيادُ، كذلكَ يَستعيدُ المقاتلونَ
الشَّرسُون، عندَ وَميضِ الأسْلحةِ وسَط الهَلاك، يَسْتعيدونَ،
عندَ تَلقِّي أوامرِ قَادتِهمْ، رُوحَهمُ الّتي أنْهكَها ما بَذلُوه منْ

جُهْدٍ رَهيب. وتَحتدمُ المعركَةُ؛ تَتشابكُ السُّفن، مثلَ الـمُصارعينْ،
تَـمْتطي الدَّفةُ صَهْوةَ الموْج، ويَتحطَّمُ تَحتَ أقدام المقاتلينَ
ظَـهْـرُ المرْكَب، فَتغرَقُ السّفينةُ ويَهْوي الملاَّحُ إلى القَرارْ.

لَكنَّ الملكَ يُقلّبُ عيْنَيْه، وقدْ هَـدْهَـدَهُ غِـنـاءُ ذلكَ اليوم
فَغاصَ في حُلم مُشوَّش؛ كانَ يَبتسمُ واهماً لِـمآلِ المعركَةْ،
يَتوعدُ، ويَتوسَّلُ، ويَتهلَّلُ، ويَبعثُ رُسُـلَـهُ بسرعةِ البرْق.
لكنْ عَبثاً، فلاَ رَسُولَ منهُمْ عـادَ إلَيْه.
رُسلٌ نـازِفـةٌ، وجُنودٌ مذبوحَةٌ، وشظايا لا تُحْصَى
لِسَفائنَ مُنشطرةٍ يَلفظُها الموْجُ الـمُرْعدُ المنتقمُ
أمامَ عرْشه، حيثُ يجْلسُ الشَّقيُّ مُرتعداً
علَى الشَّاطئ ؛ وهَا هُو يَرى رِجَالَه يَلُوذُون بالفِرَار،
ويَرى أُسْطُولَه الشَّاردَ في عرْضِ البحرِ
يَجرفُهُ الإلهُ الذي حَـطَّـمَ بازْدراء بهْرجَه العَقيم،
ونَفذَ إلى الضَّعيفِ خَلفَ الدّرعِ الـمُـخيفْ.

لكنَّ شَعبَ أثينا يَعودُ شَغوفاً إلى النَّهرِ الـمُتباطئ المتوحّد،
ومنَ الجبالِ انْـدفعَ الـحَـشْـدُ فَرِحاً نَـحـوَ الْوادِي المهْجُور؛

أسفاه، فَمثْلَ أمٍّ عَجوزٍ يعودُ إلى صدْرِها ابنُها المفقودُ
بعدَ سنواتٍ طِـوَال يَئستْ خلالَـهـا منْ عَودتـه،
يَعودُ شابّاً ناضجاً، لَكنَّ روحَها كانتْ قدْ ذَبُلتْ حُزناً عليهْ،
فَجاءَها الفَرحُ مُتأخِّراً بعدَ أنْ أَنْهكتْها الآمالْ،
وأجْهدتْ نفسَها لِتَستوْعبَ ما يَتلفَّظُ بهِ ابنُها الحبيبُ
منْ عِرْفـان وامْتنان، كـَذلكَ بَدتْ تُـربةُ الوطَـنِ
لأولئكَ العائدين. عبثاً يَلتمسُ الوَرِعُونَ بَساتينَـهمْ،
فَالبوّاباتُ الطيّبةُ لا تَستقبلُ المنْتصرينَ،
كما كانتْ منْ قبلُ تَسْتقبلُ المسَافرَ حين يَعودُ مَسْروراً
منَ الـجُزُرِ فَـيَلوحُ لَـهُ الحِصْنُ المبارَكُ، حِصْنُ الأُم أثينا،
مُشْرقاً في الأعَالي فـوْقَ هامتـهِ الـمَشُـوقَـة.
علَى أنَّ كلَّ هذه الشَّوارعِ المهْجُورةِ والحدائقِ الـمَحْزونَـة
مَعروفةٌ تَماماً لدَى العَائدين، وعلَى الـحلبَة،
تَهاوتِ الآن أعْمدةُ الـرِّواقِ وسَقطتْ تَماثيلُ
الآلـهـةِ، فأثَّرتْ في أَرْواحِهم،
وإذْ يَبتهِجونَ بإيمانِهم، تَتشابكُ أيْديهمْ
تَـعبيراً عن انْـتمائِهم للجَماعَة.
يَبحثُ رَجلٌ عن موقعِ مَنزلِـهِ

فَيَعثُرُ عليه فوراً تحتَ الأنْقاضْ؛
وإذْ تَتذكّرُ زوجتُهُ المكانَ المألوفَ الذي كانَا ينامَانِ فيهِ،
تَبْكي وتُعانقُه، ويَتساءلُ أطفالُهُ عنْ مائدة
كانوا يَتَحلَّقونَ حَوْلَها وَالأسْلافُ يَنظرونَ إليهمْ،
وآلهةُ الأسْرةِ تَبتَسمُ لهُمْ.
لكنَّ القوْمَ أقَاموا الخيَام، فَالْتَأمَ شَمْلُ الجيرَانْ؛
وَوِفْقاً لِعَاداتِ القلْب، أُنشئتْ المساكنُ مَرَّةً أُخرى
على التِّلال. وهَا هُمُ الآن يَحْيَوْن، كما كانُوا منْ قبلُ،
حياةً حُرَّةً كريمة، وَاثقينَ منْ قوّتهم ومنْ مُسْتقبلهم،
يَحْيَوْنَ مثلَ الطّيورِ الشَّاديةِ المهَاجرةِ منْ جبَل إلَى جبَلٍ،
يَحْيَوْنَ مثلَ أُمراء الغابةِ والنّهرِ المتعرِّج منْ بعيد .
لَكنَّ الأرضَ المخْلِصةَ الرَّؤومَ لا تَزال تُعانقُ
شَعْبَها النبيلَ، وتَحتَ السَّماء المقدّسة،
يَسْتريحونَ الآنَ، كما كانُوا يفعلونَ منْ قبلُ،
حينَ كانتْ تَنفحُهم النَّسماتُ اللطيفةُ وهُم نِيَامْ،
ومنْ أشْجارِ السَّهْل يتناهَى إليهمْ هَمْسُ إليسْوسَ،
وإذْ يُبشِّرهم بأيّامٍ جَديدة، ويَحُضُّهم على أفعالٍ جَديدة،
يَهْدرُ من بَعيد في اللّيلِ مَوجُ إلَهِ البحْرِ

ويُرسلُ إلَى أحبَّائه أحلاماً سَعيدة.
هَا هيَ المحَاصيلُ الذّهبيّةُ في أوَانِها تَنمُو وتُزهِرُ،
وهَا هيَ أشجارُ الزيْتونِ التي رَعتْها الأيْدي الوَرِعةُ تَخضرّ،
وها هيَ الخُيولُ الأثينية ، كمَا كانتْ منْ قبلُ،
تَرعَى آمنةً في سُهولِ كُولُونُوسْ.

لَكنْ، إكْراماً للأُمّ الأرضِ ولإلَهِ البحْر، تَنبعثُ المدينةُ وتُزهرُ،
تَنشأُ صَرْحاً مَجيداً رَاسخَ البُنْيانِ مثلَ النُّجُوم، إنَّها ثمرةُ نُبوغِهمَا،
فهْوَ الفاعلُ أبداً يُحبُّ أنْ يَصُوغَ بهذَا الأسْلوب أغْلالَ المحبّة،
لِكيْ يُقيمَ، بعدَ رحيله، في هذه الأشكالِ التي أَنشأَها لنفْسِه،
وَيَتواصلَ بَقاؤُهُ. انْظُرْ! ها هيَ الغابةُ تخْدمُ هذَا الخالقَ، ويَتقرَّبُ
إليْه بالتِّبْرِ والرُّخَام پُونْتيليُوس وغيرُه منَ الجبَالِ القَريبة،
لَكنْ، لأنَّه حيٌّ ومُشْرقٌ ومَسْرور، تَتَدفَّقُ الأشكالُ منْ يدَيْهِ
فَيُنجزُ بيُسْر، كمَا الشَّمسُ، أعْمالَه. تَنبجسُ الينابيعُ
فَتَنقلُها القَنواتُ الصَّافيةُ عبرَ التِّلال، ويَندفعُ الجدْولُ
مُسْرعاً نَحْو الحوْضِ المتلألئ ، وحَوْلَهُما تَتعنْقَدُ البيوتْ،
مثلَ الأبْطالِ المَرحينَ حَولَ قَدَحِ القُربَانِ،
وتُومضُ صَفاً صَفاً . الرواقُ الپَريتانيُّ يتعالَى،

الملاعبُ مفتوحةٌ، المعابدُ أُنشئتْ لأجْلِ الآلـهـة،
ومنَ البُستانِ المقدّسِ تَصعَدُ نَحوَ الفَضاءِ خاطرةٌ،
خاطرةٌ مُقدّسةٌ وجَريئةٌ في نفْسِ الآن،
قريبةٌ منْ خَواطرِ الفَانين، لكنَّها منْ خَواطر
زيوس الأولـمْبـيِّ، وتعلُو أرْوقـةٌ سمَاويةٌ أُخرى لأجْلكِ،
أيتها الأُمُّ أثينا، ولأجْلك أيضاً، نَهضَ منَ البَلْوى
بفَـخرٍ تَلْـك العظِيمُ، وظَلَّ لِوقْتٍ طَويلٍ مُزهراً
لأجْـلكِ ولأجْلِ إلـهِ الموْج، وتَـجَـمَّـعَ أحبابُك فَرحين،
وغالباً ما كانوا يَتَرنَّمُـون، علَى الجبَال الدُّنيا، بالشُّكْرِ لكْ.

آه، يَا لَأطفالِ البَهْجة، أولئكَ الإلَـهـيِّيـنْ!
هَلْ يَشرُدونَ الآنَ بعيداً، بعيداً، وآباؤهُم في البيُوتْ،
غَافلينَ عَن الأيّام الـمَشْؤومةِ علَى الضَّفة الأُخرى لِـليثي؟
ألـنْ يُعيدَهم الـتَّوَقُ إلـيَّ؟ أَلَـنْ تَـراهُمْ أبداً عَيْناي؟
أسَفاه، أَلَـنْ يَراكُم الباحثُ أبداً على آلافِ الدّروبْ،
دُروبِ الأرض الخضْراء، أيتُها الكائناتُ الشبيهةُ بالآلـهـةْ؟
أَلِـهذا كـنتُ قدَ سَـمِـعتُ لُـغتَـكُمْ؟ أكانَ هذا مصْدرَ الأسطورةِ
التي تُـروَىٰ عنكُم؟ أَلِـهذا ينْبغي أنْ تَهربَ منّي أبداً،

قبلَ الأوَان، رُوحي المحْزُونةُ لِتلْتَحق بأشْباحكُم؟
لَكنْ، قريباً منكُم، حيثُ لاَ تَزال تُزْهر بسَاتينُكُمْ،
حيثُ لاَ يزال الجبلُ المقدّسُ يَحْجبُ رأسَه الجميلَ
بمَا فوْقَه منْ غُيوم، سأمْضي أنَا إلى پـَارْنسُوس،
وحينَ يَلوحُ لي نَبعُ كاسْتيلْيَا لامعاً وسْط أشْجارِ السِّنديان،
ومنَ القَدَحِ المُطوَّق بعطْر الأزاهير فوقَ خُضْرةٍ تَنبثقُ منها
البَراعِمُ، سَأسْكبُ الماءَ ممْزوجاً بالدُّموعِ، كَيْ أقَدِّمَ إليكُمْ
جميعاً، شَراباً جَنائزياً، أيُّها الرَّاقدُونَ. هناكَ، في الوادي
الصَّامتِ، قُربَ صُخُورِ تمْـپـي الشَّاهقَةْ؛
سأظَلُّ مَعكِ مُقيماً، وسأسْتحضرُكِ في الليل كثيراً،
أيتها الأسماءُ المجيدة، وحَينَ تُبدينَ الغَضبَ لأنَّ محراثاً
انْتهكَ قُدْسيةَ القُبور، سَأظلُّ أسْترضيكِ، أيتها الأرواحُ
المقدّسةُ، بصوْتِ الفُؤادِ وبأُنشودةِ الوَرَعِ، إلى أنْ تَألَفَ
رُوحي مُساكَنَتَكِ. آنَئذٍ، أيها الأموات، سَيُسائِلُكُم
المقدّسونَ كثيراً، وسيُسائلونَكُم أنْتم أيضاً أيها الأحْيَاءُ،
يا قُوى السَّماء المجيدَة، حينَ تَمرُّونَ وأنْتم مُسنّونَ
علَى هَذه الأنْقاض، يا أهلَ الطَّريقِ السَّالِكة!
فَتَحْتَ النّجوم غالباً ما تسْتوْلي الحَيْرةُ على قلْبي

كأنَّها رِيحٌ مُخيفَةٌ، فأبْحثُ منْ حَوْلي عن مَشْوَرَة،
وَلَمْ يَمضِ الآنَ وقتٌ طويلٌ منذُ أنْ أَنْعَمتْ عليَّ بكلماتِ
السُّلوانِ بساتينُ دُودُونَا النّبويةُ ؛ لَكنَّ إلهَ دِلْفي صامتٌ،
وهذه الدُّروبُ ظَلَّتْ لزمن طَويل خَربَةً مهجورةً،
وهْيَ التي صَعدَ منْها يوماً نَحو بلدةِ العَرَّافِ الصَّادقِ
رَجلٌ مُتسائلٌ تَقُودُهُ بالسَّكِينةِ الآمالْ.
لكنَّ النُّورَ العُلْويّ لاَ يزال يُخاطبُ الفَانين. وهَا هُوَ
صَوتُ المُرعد العَظيم، مُفْعَماً بالمَعَاني الجليلة، يُنادي :
أَلاَ تَزالونَ تذْكُرُونني؟ فيُرَجِّعُ صَداه صَوتُ المَوْجِ الهادِر،
صَوتُ إلهِ البحْر: أَلَسْتُمْ تَذْكُرونني الآنَ أبداً،
كَما كُنتم فيما مضَى تَفعلُون؟ فالسَّماويّونَ يُحِبُّونَ
أن يَرْقُدوا علَى قلْبٍ مُرهَفٍ؛ ولأنَّهم قُوىً مُبهِجةٌ حَدَّ النَّشوة،
فهُمْ يُحبُّونَ أبداً أن يَحْرسوا الرَّجُلَ التَّوَّاق، وفوقَ تِلال مَوطِنه،
لاَ يزالُ الأثيرُ المَوْجودُ في كُلِّ مكَان، يُقيمُ ويَحْكُم، ويَسْتريحُ،
لكيْ يَكونَ شَعْبٌ وَدُودٌ، يَضمُّه الأبُ إلَى حضْنه، كَما كانَ دائماً،
فَرِحاً، ويُشاطرُ الجميعَ نفسَ الرُّوح. لكنَّ جِنْسنَا، يا لَلويل،
يَهيمُ ليْلاً، ويَظلُّ كما في أورْكُوسَ، مُنفصلاً عن كُلِّ ما هو إلَهي.
كلُّ شخْص مُنهمِكٌ في عمله فحسْبُ، وفي صخَب المُحتَرفِ

الذي يَصمُّ الآذانَ، لا يَسمَعُ إلاَّ نفْسه؛ ويُسرِفُ هَؤلاءِ المتوحشونَ
في الكَدِّ، سَواعدُهم قويّةٌ، لا يَكفّون، لَكنَّ كَدَّ الأشقياء،
مثلَ سَعْيِ الأرْواحِ المنتقمَة، يَظلُّ عَقيماً، إلَى أنْ يَتِمَّ إيقاظُ
هؤُلاء الأشْخاصِ منْ كابُوسِهم فيُحسُّونَ، مرّةً أخرى،
برُوحِهم، كما كانتْ منْ قبلُ، فتيةً رضيةً، ومرّةً أخرى،
يَهُبّ نَفَسُ المحبّة علَى هذا العهْدِ الجديد،
كمَا كَان يَهُبُّ علَى هيلاسَ فَيَتَنعَّمُ بالإزْهَارِ أبناؤُها؛
وعلَى جباهنا التي تَخفَّفتْ من الهُموم، تَهبُّ روحُ الطَّبيعةِ
التي تُقبلُ علَى النّاسِ منْ بَعيد، ومرةً أخْرى يَتجلَّى الإلـهُ
في الغيْم الـمُذهَّب ثَابتاً أبديّاً. وهُمْ، ألَا يَزالونَ، أيّها النّهارُ،
يُواصِلُونَ إقَامتَهم في وَحْشةِ العالَم السُّفليِّ، كأنَّهم يُقيمونَ
في أعْماقِ الأَرض، مَعَ أَنَّـهُم منْ سُلالَـة الآلـهة، بيْنما يَتلألأُ
الرَّبيعُ الدَّائمُ مُتلاشياً فَوقَ رُؤوسِ أُولئكَ الرَّاقـدينْ؟
لكنَّ كلَّ ذلك ولّى الآنَ! فهَا أنذا على البُعْدِ أسمَعُ أغنيةَ
جَوْقةِ العِيدِ فوقَ الجبالِ الخَضْراء، وأسْمعُ صدَاها يَتردَّدُ
في الأيْك، حيثُ تَنفرجُ صُدورُ الفتيانِ وتُشاركُ روحُ القوم
في الغناء المنطلق، وهُم يَمدحُونَ الإلَـهَ الذي يَبْسطُ مُلْكَهُ
علَى الأعَالي؛ لَكنَّ الوِدْيانَ أيضاً مُقدّسةٌ؛ فحيثُما يَندفعُ النهرُ

مُخْترقاً غَزارةَ العُنْفوان والنَّماء وسْطَ أزْهَار الرِّيفْ،
وحيثُما يَنضَجُ القمْحُ النّبيلُ وتَنضَجُ البساتينُ علَى السُّهولِ
المُشْمسَةِ، يُحبُّ الوَرعُونَ أنْ يَتزيَّنُوا بالأكَاليلِ للاحْتفالِ،
وعلَى تَلِّ المدينةِ يُومضُ رواقُ البهْجة الإلَهيَّ، كما تُومضُ
مَنازلُ البَشَر. فالحياةُ الآنَ قَدِ امْتلأتْ بالمعْنى الإلَهيِّ،
وأنت أيتُها الطَّبيعةُ، يَا منْ لا تَكُفِّينَ أبداً عَن التَّهْذيب،
تَتَبدَّيْنَ مَرَّةً أُخرى لأبنائك في كلِّ مكَان؛ وتَتَدفَّقُ النِّعَمُ
مِنْ هذا المكَانِ علَى رُوح الشَّعب المزْهرَة، كأنَّها تَترقْرقُ
على جبال يُزيِّنُها وَشْيُ الينابيع. آنئذٍ، آه، آنئذٍ، يا أفْراحَ أثينا،
ويا مُنجزاتِ سْبِّرْطَا، ويا موْسمَ الرَّبيع العذْبْ
في بلاَدِ الإغْريق، حينَ يَحُلُّ خريفُنا، حينَ تَعودونَ جميعاً،
وَقدْ نَضجْتُم، يَا أرْواحَ العالَم القَديم، فَتَرْونَ اكْتمالَ
العَام يَقْترِبُ - آنَئذٍ، أدْعُو أنْ يَحفظَك يومُ العيدْ،
أنتِ أيضاً، أيتُها الأيَّام الخَوالي، أدعُو أن يَنْظرَ النَّاسُ
إلَى هيلاسَ، وإذْ يُقدِّمونَ الشُّكرَ والدَّمعَ قَرابينَ،
يُلطِّفونَ بالذِّكْرى يَومَ النَّصرِ الذي بهِ يَعْتزَّونْ.

لَكنْ، في انْتظارِ ذَلكَ، لا تَكُفِّي عنِ التَّفتُّح،
إلَى أنْ يَبدأَ إثْمارُنا، وَاصِلِي التفتّحَ، يا حدائقَ إيُونْيا،
وأنتِ أيتُها الحَدائقُ التي تخْضَرُّ قُربَ
أنْقاضِ أثينَا، احْجُبْنَ عنْ ناظِرِ النَّهار حُزنَها،
أيتُها العزيزَاتُ ! ويَا غابات الغَار، يا منْ تُورِقْنَ
أبداً، كَلِّلْنَ تلالَ مَوْتَاكُنَّ في كُلِّ مكَان،
هناكَ قُربَ مَاراثُون حيثُ قَضَى فِتْيانُك وهُمْ
غَازُونَ، وهُناك، آه، علَى سُهولِ كارْنُونْيا
حَيثُ انْدَفعَ آخِرُ الأثِينيِّين، وأسْلِحتُهم بالدَّم مَغمورةٌ،
انْدفَعُوا فَارِّينَ منْ يْوم العَار، وهناك، أيتُها المِيَاهُ الشَّاردةُ،
منَ الجبَال حتَّى وَادِي القتَال، نُوحي في كلِّ يوْم ،
ومنْ قمَم ايتَاسَ غَنِّي أُغنيةَ القَدَرْ!
لَكنْ أنتَ أيها الخالدُ ـ مَعَ أنَّ أغَاني الإغْريقِ
لا تَحْتفي الآنَ بكَ كما كانتْ منْ قَبلُ ـ يا إلهَ البحْر،
دعْ رُوحي تَتَشرَّبْ ألحاناً غالباً ما تَعزفُها أمْواجُكَ
لِكيْ يُمارسَ ذِهْني الوَقَّادُ ، مثلَ السَّبَّاح، بلاَ خوْف،
بَهْجةَ الأقْوياءِ التي تَبعثُ الحياةَ، ويَتعلَّمَ اللغةَ الإلهيةَ:
لغةَ التَّغيُّرِ والصَّيْرُورة؛ وإنْ يَنْتَزِع الزمانُ بجبرُوته

رأْسي، وتُحطِّم الحَاجَةُ والتَّشرُّدُ وسْطَ الفَانين حيَاتي الفَانيّة، فَدَعْ ذِهْني يُقيمُ في سُكونِ أعْماقِكْ.

مَرْثَاةُ منُون لْديُوتيمَا

.1

أخْرجُ كلَّ يوم، وأبحثُ دائماً عنْ درب آخَر، معَ أنّني سألتُها جميعاً
منذ زمن طويل: كلَّ دروب الأرض؛ تلكَ القممَ العاليةَ
التي تُمعنُ في البُرودة؛ سألتُ كلَّ الأماكن الظّليلة التي أزُورهَا،
وسألتُ كلَّ المَنابع؛ تَشْردُ روحي إلى الأعالي، ثم تَهوي إلى
القَرار، الْتماساً للرّاحَة ؛ هكَذا يَفرُّ إلَى الغابات أيِّلٌ مُصابٌ،
إلَى غَابات كان منْ قبلُ يستريحُ، في الظّهيرة، في ظُلمَاتها
لكنَّ ملْجَأه الأخْضرَ لم يَعُدْ الآن يُنعش قلْبَهُ،
بلْ يجْعلُه الشّوكُ قلقاً، أرقاً، نائحاً، لا يَستقرُّ في أيِّ مكَانْ؛
لاَ دفءُ الضّوْء يُسْعفُ ولاَ برودةُ اللّيل،
عبثاً يَغْمسُ في مُويْجاتِ النَّهرِ جُروحَهُ.
وكَما تَعْرضُ الأرضُ سُدًى أعْشابَها الشّافيةَ المُبهجَةَ،
ولاَ نسْمةٌ من النّسماتِ تُهدِّئُ دمَها المهْتَاجْ،
كذلك، أيّها الأعزّاء، يبدُو حَالي وليْسَ بوُسع أحَدٍ
أن يرْفعَ عنْ جبيني عبْءَ هذا الحُلْم الحَزينْ ؟

.2

لاَ جدْوَى حقّاً، يا إلاَهاتِ الموْتِ، حين تُـمْسكنَ الرجلَ المهْزومَ مرةً
وتُقيّدْنَـهُ بـإحْكَام، حين تحملْنَه أيتُها الشّرّيرات وتُنزلْنَه إلَى
اللّيل الرّهيب، لا جَدْوى حينئذٍ في أنْ يَتضرَّعَ المرءُ ويتوسَّـلَ
إليكنَّ أو يَغْضبَ منكُنّ، بلْ ولاَ في أنْ يَظلَّ رهينَ ذلك
القيْد الـمُخيفِ، ويبْتسِمَ إذْ يسْـمَـعُكـنَّ تترنَّـمْنَ بالأغْنية الوقُور.
إنْ كانَ لا بُـدّ، فانْسيْـنَ رفاهَكُنَّ ونَـمْـنَ صَامتاتْ.
لكنْ في هَذه اللّحظة بالذّاتِ، يَجيشُ منْ صدْرك صوتُ أمَلِ،
ولنْ تسْتطيعي، يَا رُوحي، لنْ تسْتطيعِي، حتّى في هذه اللّحْظة،
أنْ تتقبَّليه، ولاَ تَزالينَ، بفعْل العادة، تحلمين في عمقِ نومكِ البارد !
وقتُ الاحتفالِ ليس لأجْلي، لكنّي بالأكاليل أتزيَّـن،
أوَ لستُ منعزلاً وحيداً ؟ لكنَّ شيئاً رحيماً
لا بُدّ أنْ يكونَ، علَى البُعْد، قريباً منِّي، وعليّ الآنَ
أنْ أبتسمَ وأسْتغْربَ إذْ أدركُ أيضاً ما أُحِسُّ بـهِ،
وأنَا في غمْرة الحزْنِ، منْ نـعِيـمْ .

.3

يَا نُورَ الحُبِّ الذّهبيَّ، هَل أنتَ تُشرقُ حتّى علَى الموْتَى؟
ويَا رُؤى الأيّام الأسْطَع، هَلْ تُنيرينَ ليْلي؟
يا حَدائقَ، ويَا جبالاً تُلوّنُها حُمْرةُ الشّفَق، بكِ أُرحِّبُ،
وبكَ يَا دُروبَ البُسْتَانِ الصّامتةَ، يا مَنْ شاهَدْت النعيمَ
السّماويَّ؛ وأنت أيتُها النجُومُ الـمُحدَّقاتُ في الأعالي،
يَا مَن كثيراً ما منحْتني نظرات مُباركةً. وأنتُمْ أيضاً
أيّها العُشّاقْ، يَا أطْفالَ الرّبيع والجَمال، يا وُروداً
تَنْعمُ بالسّكينة، وأنتِ أيتُها الزّنابقُ، غالباً مَا أناديكُمْ .
مَواسِمُ الرّبيع تمْضي حقّاً، العامُ يَجْتَثُّ العَامَ،
والزمنُ الـمُحاربُ المتغيّر يَهْدرُ في الأعَالي، فوْق رؤُوسنَا،
نحْنُ الفَانينَ، لَكنَّه خَاف عن عيُون الـمُنَعَّمينَ؛
والعشاقُ أيضاً وُهبُوا حياةً مخْتلفةً . لأجْل كلِّ هؤُلاء،
يَا ديْوتيمَا، كانتْ أيامُ النجُوم وأعْوامُها
تَتناغمُ معنَا تناغُماً حميماً، تناغُماً أبديّاً.

.4

لَكِنَّنا سَافرْنا فوْقَ هذه الأرْض، سُعداءَ في وِصَالنَا
سعادةَ طُيور التَّمِّ حينَ تَسْتريح جنْبَ البُحيْرة،
أوْحينَ تتّخذُ المويْجَاتِ مهْداً فتنظرُ إلى المَاء تحْتهَا
حيثُ تنعكسُ الغُيومُ الفضيّةُ ويَتموَّجُ اللاّزورْديُّ
وسْطَ سَفائن المسَافرينَ. ومعَ أنَّ بورْياسَ، عدوَّ العُشّاق،
هدّدَ ناشراً نواحَهُ في كلّ اتّجاه، ومَع أنَّ الأوْراقَ مِن الغُصون
تسَاقطتْ، ومَع أنَّ المطرَ تَطايرَ معَ الرّيح، فإنَّنا كُنَّا
نبْتسِمُ في هُدوء، مُستشْعريْن حضُورَ إلهنَا في طيّات
حوارنَا الحَميم، في أغْنية رُوحَيْنا الفريدة، راضيّيْن عنْ نفسَيْنا
كلَّ الرّضَى، فرحَيْن كالأطْفال ووحِيدَيْن. لكنَّ بيْتي الآنَ
مهْجُورٌ، وقد سَلبُوا عيْني، وبفُقدان حَبيبتي فقدتُ نفْسي.
ولهَذا تَراني شارداً، وأخْشَى أنَّ عليَّ الآنَ
أنْ أعيشَ كمَا تعيشُ أشباحُ الموْتَى.
ومنذُ زمَن طويل، بَدا لي كلُّ شيْء عبثاً.

.5

أريدُ أنْ أحَتفلَ، لكِنْ بـمَاذَا؟ وأرِيدُ أنْ أغـنَّـيَ معَ الآخرينَ،
لكنْ ينقُصني كلُّ ما هُو إلَهيٌّ في هَذه الوحْشَة الشّاملة .
هُو ذَا، أعْرفُ أنَّ هذا هُو إخْفاقي، ولـهـذَا تُـعَـطِّلُ
لعنةٌ قُـوَّتـي، وتُـطـيـحُ بي أنَّـى انْـطـلـقْـتُ،
فأجْلسُ طوال اليوْم دُون إحْساس،
صامتاً كالأطْفال. منْ حينَ لآخرَ تَـزحَـفُ
منْ عيْني دمعةٌ باردةٌ، تُحزنُني أغْراسُ الحقْل،
ويُحزنُني غِناءُ الطّيور، لأنّها،
إذْ تَحملُ الأفراحَ، تَحملُ النَّذائرَ الإلهيّة أيضاً، لكنّني،
في فَراغي المرْتعِش، أرى الشّمْسَ الـمُلْهـمة تُشرقُ عليَّ
كأنّها أشعةُ الليل، وأرَى السّماواتِ، آه، مثْل جُدْرانِ
السّجْنِ عقيمةً كئيبةً، تتدلَّى منْ فوق رأسي عبئاً يُـرهقُني.

.6

أَيُّها الشّباب، كنتُ في مَا مضَى أعْرفُكَ بقنَاع آخرَ!

أَلنْ تُعيدَكَ إليَّ أبداً توسُّلاتي؟ أَيكونُ حَالي حالَ

الكُفَّار الذين جلَسُوا يوماً، وعُيونُهْم مُشرقةٌ،

حوْلَ خوَانِ المأدُبةِ الإلهيَّة، لكنَّ الطعامَ سُرعان مَا

أتْخَمَهُمْ، غشيَ الصمتُ الآن هؤلاء الضّيُوفَ الحمْقَى،

وهَا هُمْ الآنَ تحتَ أغْنيةِ النسيم، تحْتَ الأرض المزْهرَة

راقدُون، هنا سيَظلُّون إلَى أن تُجبرَهمْ يوماً قوةٌ معْجزةٌ،

تُجبرَ هؤُلاء المغْمُورينَ في الأعْماق، علَى أنْ يعُودُوا ليسَيُروا

مرَّةً أخْرى علَى أرْض تَغْمرُها الخُضرةُ وتتفتّقُ فيهَا البراعمُ ـ

النفَسُ المقدَّسُ يَخترقُ الشّكلَ المتوهّجَ اخْتراقاً ربَّانيّاً،

حينَ تُلهِمُ المَأدُبةَ روحٌ من الأرواح، وتَنطلقُ جداولُ المحبة،

ويَهدِرُ النّهرُ الذي تَملؤُهُ السّماء، وتُسمَعُ الدَّمْدمَةُ

في القَرار، ويُقدِّمُ الليلُ كُنوزَهُ، ويَتعالَى بَريقُ

الذَّهبَ المَطْمُورِ منْ أسِرَّة الأنْهَارْ . ـ

.7

لكنَّكِ، أنتِ الّتي كُنت آنئذ قد بلغْتِ مُلتقَى طُرق الفراق حينَ
وَقعتُ أنا عندَ قدميْك، أشرت مُواسيةً إلى أمور أفضلَ يَنْبغي
السَّعيُ إليْها، أنت الّتي علَّمتِني أنْ أرَى مَا هُو عظيمٌ، وعلَّمتِني أنْ
أتغنَّى مرِحاً بالآلهةِ، فهْيَ، على صمْتِها، ساكنةٌ، بالنّشْوةِ مُفْعمَة؛
هَلْ تَتجليْنَ لي مرةً أخْرى، يا طفْلةَ الآلهة، وتُحْيينني كمَا كنت
منْ قبلُ تفْعَلين، وتُحدّثينَني مرةً أخْرى عنْ تلكَ الأشياءِ السّاميّة؟
اُنْظُري، أنا مُضْطرٌّ لأنْ أبكيَ وأنوحَ في حَضْرتكِ، مع أنَّ روحي
تُحِسُّ بالخِزْي إذْ تتذكرّ عُهوداً أنْبلَ. فقَدْ مضَى زمنٌ طويلٌ،
مضَى الآنَ زمنٌ طويلٌ، وأنا علَى دُروب الأرضْ المرهَقَةِ، ألفتُك،
وبَحثْتُ عنْكِ في البَراريْ، أيتُها الروحُ الحارسَةُ، أيَتها الرُوح
البهيجةُ! لكنّ سعْيي كانَ سُدًى، وهَا هيَ الأعْوامُ قد ذابتْ
وغدَتْ عَدَماً منذ أنْ رأينا تلكَ الأماسي تتوهّجُ حوْلنَا مُنذرةْ .

.8

أنت وحْدَك، أيتُها البَطَلة، نُورك يُثبتُ النّورَ، وصبْرُك،

أيتها الحنُون، يُقوِّيك في المحبّة؛ بلْ لسْت حتّى وحيدةً،

فثمةَ ما يكْفي منْ أقران يُلاعبونَك هُناك حيثُ تُزْهرينَ

وتَسْتكينينَ وسْطَ أزهار الموسم، والأبُ نَفْسُه،

يُرسلُ إليك مع ربّات الإلْهام اللَّواتي يَتَنفَّسْنَ الرِّقةَ

تلكَ الأغاني الرقيقةَ لتُنيمَك.

أجَلْ، مَا زالتْ هيَ هيَ! لاَزالت الأثينّيةُ،

بكُلّ جوَارحها، تَسيرُ صامتةً نحْوي، تَحُوم أمَام ناظري!

وحينَ تَتَنَزَّلُ المُباركَةُ والنورُ المبينُ منْ جَبينك الحزينْ،

أيتُها الروحُ الحنُون، آنئذ، أرني البُرْهَانَ،

وأخْبريني، كيْ أُبَلِّغَ الآخرين، فهناك أيضاً

آخَرون لا يُؤْمنونَ بأنَّ الفرحَ في النّهاية

يَدومُ أكثرَ منَ الغَمِّ والغضبْ،

وأنَّ نهاراً ذهبيّاً سيُشرقُ في النهايةِ رَغْمَ كلِّ شيْءْ .

.9

لِذلكَ، سأشكرُكِ أنتِ أيضاً، يا قُوَى السّماء، وفي النّهاية ستَنْبَعِثُ
مرةً أخْرى ابتهالاتُ الـمُنْشدِ مُنْسابةً منْ صَدْرهِ المنْشرح. وكَما
وَقفْتُ معَها مرّةً علَى رأس التَّل المشْمسِ، يُخاطبُني الآنَ مرةً أخرى،
منْ هيْكلِ البَاطن، إلهٌ واهبٌ للحيَاة. فلأَحْيَ، إذنْ، مرةً أخْرى!
ها قَد اخضرَّ كلُّ شيْء! وها هيَ النّغَماتُ تُقْبل منْ قيثارةٍ
مُقدَّسةٍ في قمَم أبّولُو الفضّيَّة. تَعالَيْ إذن!
مَا أشْبهَ الأمرَ كله بحُلْم منَ الأحْلام! أجْنحتُك الملطّخةُ
بالدَّم تعافتْ، وكلُّ آمالكِ تُبعَثُ منْ جديدٍ. كثيرٌ أنْ يعثُرَ المرءُ
علَى ما هو عظيمٌ، لكنَّ الكثيرَ يبْقَى، ومَنْ أحبَّ هكَذا
سيَتْبعُ الطريقَ التي تُوصِلُ إلَى الآلهة، لا بُدَّ أن يَتبعَها .
فلتُرافقينَا، إذنْ، أيتُها السّاعاتُ المقدّسَةْ،
أيّتُها الوقُورَاتُ، الفتيّة! لا تَهْجرينا أبداً،
يَا أحَاسيسَ الفُؤاد، ويَا أيتُها التَّوسَّلاتُ الوَرعةُ،
وأنتِ، يا وَمضات الإلْهام، ويَا كلَّ الأرْواح الخيِّرة التي تُحبُّ
أنْ تُعاشرَ العُشّاقَ. لا تُفارقينَا نحنُ الإثنيْن إلَى أَنْ نبلُغَ الأرضَ
المُشترَكَةَ، حيثُ يَتهيّأُ كلُّ المُنَعَّمين للنّزولْ

مرّةً أخرى، حيثُ تُوجَدُ النّسورُ، وعَناقيدُ النّجُوم، ورُسلُ الأبْ،

حيثُ تُـوجَـدُ ربّاتُ الإلْهام، مَـوطنَ العُشّاق والأبطال،

لا تُـفارقينا إلَى أنْ نَـبلُـغَ ذلكَ المكَان، أوْ ربّما هذا المكانَ،

حيثُ نلتقي في جَزيرة نديّة، حيثُ أغانينا مُـخْلِـصـةً ستكونْ،

إذْ تَـجْـتـمعُ في حَدائـقَ تُزهرُ في النّهاية معاً في نفْسِ الآنَ،

ويَـمتـدُّ بَـهاءُ الرّبيع، يَبْدأُ منْ أعوام رُوحَيْنا عَـامٌ جديدْ .

المحَبّة

قَدْ يَغفرُ لَكُم الرَّبُّ ، أيُّها المُمْتَنُّونَ،
إنْ أنتمْ نَسيتُم أصْدقاءَكُم، أوْ أسأْتُم إليْهم جميعاً،
وَقَدْ يَغفرُ لَكُم إنْ أنتمْ أسأْتُم إلى شُعرائِكمْ؛ لَكنَّهُ
لَنْ يَصْفحَ أبداً عنكُم إنْ انْتهكْتُم حُرمةَ روحِ المحبِّينْ.

فَفي أيِّ مكانٍ آخر، خَبِّرُوني، يُواصلُ البَشرُ
حياتَهم، وقدْ بَسطَ الهمُّ الخَنوعُ سُلطانَهُ على
كُلِّ الأشْياء؟ لذلكَ أيضاً تَرفَّعَ الربُّ مُنذ زمن
طويل، وباتَ هناكَ في الأعالي غيرَ عابئ بنَا.

لَكنْ، أيّاً كانتْ بُرودةُ العَام، في هذَا الموْسم
المُقدَّرِ عَليْنا، وَأيّاً كانتْ كآبتُه، فإنَّ أوْراقَ
النَّباتات الخضراء سَتَنمُو، سَتَنمُو في هذَا
الحقل الأبيض، وسيَتَبرنَّمُ طائرٌ مُتَوحِّدٌ،

حينَ تَتَمطَّى الغَاباتُ رُويْداً، رُويْداً،
يَتحرَّكُ النّهرُ، تُقْبلُ، في الوقت الـمُـقـدَّر ،
تُقْبلُ النَّسمةُ اللطيفةُ ناعمةً منَ الجنُوب،
حينَ تَـنْبَثِقُ هناكَ بشارةٌ بـعصْر أزْهَى،

بشَارةٌ نُؤمنُ بها، بشَارةٌ مُكْتَفِيةٌ بذَاتها،
بشَارةٌ فَريدةٌ في وَرَعـهَا ونُبْلـها،
حينَ تَنْبَثِقُ المحبّة، ابنةُ الرَّبِّ،
تَـنْبَثِقُ منهُ وحْدَه، فَتَغْمُرُ التُّربةَ النُّحاسيّة.

دَعيني أُباركُك، إذنْ أيتها النَّبْتَةُ السَّماويّةُ،
دَعيني أرْعَاكِ بنَشيدي، حينَ تُغذّيكِ
الطَّاقةُ الأثيريةُ المستمدّةُ من رَحيق الآلهةْ،
ويكونُ الشُّعاعُ الـمُبْدعُ قَدْ أَنْضجَكْ.

تَـرعْـرَعِي وَصِيري غابةً! صيري عَالَـماً يَكونُ
بالرُّوح أشدَّ امْتلاءً ، عالَـماً يَكونُ بالإزْهارِ أغْزرَ وأوْفرَ،
وأنْتِ يا لغةَ المحبّين كُوني لِسانَ كُلِّ الأرْضْ!
ويَا رُوحَ المحبّين أَلْـهِمي النَّاسَ بَـهْجةَ الرَّقصِ والْغِناءْ!

خُبزٌ وخَمْر

إلى هاينسه

.1

السّكُونُ يُطَوِّقُ المدينةَ. الزُّقاقُ المنير يَهْدأُ
والعَرباتُ، مُزيَّنةً بالقناديل، تبتعدُ مخلِّفةً دخاناً يتلاشى.
الرِّجالُ، مُتْرعينَ بلذَّاتِ النهار، يَعودونَ ليستريحوا في البُيوت؛
والأذْهانُ المنشغلةُ عادتْ إلَى البيوتِ قانعةً بحسَاب
الرّبْحِ والخَسارة. السُّوقُ المكتظَّةُ يَسودُها السُّكونْ،
إنَّها الآنَ خاليةٌ منَ الزُّهورِ، خاليةٌ منَ الأعْنابِ، خاليةٌ مما صَنعتْهُ الأيْدي.
لَكنَّ أنْغامَ الأوْتارِ تَتَعالى بعيدةً في الحدائق:
لَعلَّ العُشاقَ هناكَ يَمرحون، وقد يَتذكَّرُ رَجلٌ مُنعزلٌ
أصْدقاءَه البعيدين، أوْ لَعلَّهُ يَتذكَّرُ أيامَ شبابه.
الينابيعُ المُنسابَةُ تتدفقُ شاديةً جَنْبَ أحْواضَ الزهورِ
الفَوَّاحة، والأجْراسُ تَرنُّ ناعمةً في أجْواءِ الغَسق،
والحارسُ، حريصاً على الوقتِ، يُؤذنُ بالسَّاعة.

تتعالى الآنَ نَسمةٌ وتَلْمِسُ أعالي الأيْكة ـ
أُنْظرْ، هاهو القمرُ، طَيفُ أرْضِنا الظَّليلْ،
إنَّهُ يَتعالَى بدوْره خِلسةً! وها هُو ليلُ الأحْلام يُقْبلُ
زاخراً بالنُّجوم، وَلَعَلَّهُ لا يَعْبأُ بنَا ـ
تُشرقُ الليلةُ الباهرة، تُشرقُ غَريبةً وسْط البَشَرْ،
تُطلُّ ببهائِها حَزينةً منْ أعالَي الجبالْ.

.2

لُطْفُ هذه الليلة المجيدة رائعٌ، مَا منْ أحَدْ
يَعْلمُ من أينَ أقبلَتْ، أو يعرفُ ما سينْشأُ عنها.
هَكذا تتحكَّم في العالَم، وتُحرِّك أرواحَ البشرِ المفْعمةِ بالأمَلِ:
حتّى الحكيمُ لا يعرفُ ما تنْوي.
فهذه مَشيئةُ الرَّب الأعْلى الذي يُغدِقُ عليكَ مَحبّتَهُ ،
ولهذا فأنتَ تُؤثِرُ النهارَ العاقلَ على اللّيْلِ الجامحِ.
لَكنَّ العينَ الصّافيةَ ذاتَها قدْ تُحبُّ الظِّلالَ أيضاً،
وتُحاولُ أنْ تَغفوَ لِمجرَّدِ المتعة، قبلَ أن يَصيرَ النومُ مَحتُوماً،

وحتَّى الشَّخصُ الشّجاع يحبّ أن يُحدِّقَ مباشرةً في اللّيلِ.
لا رَيْبَ أنَّ الليلَ جديرٌ بأن يُهدَى الأكاليلَ ويُهدَى الأناشيدَ ،
فاللّيلُ مُقدسٌ لدَى الموْتَى، والليلُ مُقدسٌ لدَى المجَانينِ،
مع أنّ جوهرَ وجُوده ، أبداً، حريةٌ مُطلَقةٌ،
لَكنْ لا بُدَّ للَّيلِ أن يَمنحنا النِّسيانَ ويمنحنا السُّكْرَ المقدّس:
كيْ يَكونَ لديْنا شيءُ نعتصمُ بهِ
في فترةِ الحيْرةِ تلكَ، نَعتصمُ بهِ في ذلكَ الظَّلامْ.
لا بُدَّ للَّيل أن يَمنحَنا كلمات مُناسبةً، كلمات تَأْرقُ
كما يَأْرقُ العشَّاق، ويَمنحَنا كأساً مُتْرعةً وحَياةً أشدَّ جَسارة،
ويَمنحَنا الذِّكرى المقدَّسةَ أيضاً كيْ نَظلَّ طَوالَ اللّيْل سَاهرينْ.

.3

إنّنا، مُعلِّمينَ كُنَّا أو مُتعلِّمين، نُخفي عبثاً
ما في أفْئدتِنا ، ونَكبحُ دونَ عِلَّةٍ حماستَنا.
فمن يَستطيعُ أن يَضعَ حدًّا لحماسنا ، من يَستطيعُ من البهجة أن يَحرِمَنا؟
نارُ الآلهة تَدفعُنا إلى أن نَنطلقَ في رِحْلتِنا نهاراً

وتَدفعُنا إلى أن نَنطلقَ ليلاً. فَـهيَّـا، إذنْ، نَـنظُرْ إلى العَراءْ،
ولْـنَسْـعَ في البحْثِ عنْ ما هُو لنَا، مهما كانَ بعيداً بعيداً!
فهناك يَقينٌ واحدٌ، هناك يقينٌ وحيدٌ: ثَمةَ معيارٌ دائمٌ،
في الظَّهيرة أوْ في مُنتصفِ اللّيل، معيارٌ نَتقاسـمُه جميعاً.
لكنْ، لكلِّ شَخص منَّا هبَةٌ خاصة به؛
كلُّ شخص منَّا يذهبُ حيثُ يستطيعُ ويأتي من حيثُ يستطيع.
هكذا يُـمكن أن يَسْـخَر الـجنونُ العابثُ منَ السُّخريـةِ ذاتِـها،
إذْ يَـنتابُ المنشدينَ بـغـتـةً في الليلة المقدسَـةْ.
فَـلْنَنْطَـلِـقْ إذنْ إلى إسْثموسَ[1]! هناكَ، حيثُ
البحرُ الشاسعُ هادرٌ عندَ سَـفْحِ بارْناسُوس[2]،
هناكَ حيثُ الثلوجُ مُشرقةٌ على أجْرافِ دلْفي[3]
هناكَ في بلادِ الأُولمب، علَى قِـمَّـةِ سيذَارُون[4].
تَـحْـتَ أشْجارِ الصنوْبَر، وسْطَ الكُروم، حيثُ تقهقهُ
طيبَـةُ وتُقهقهُ اسْـمنُـوس[5] في بلاد قَـدمُـوس.
فَـمِـنْ تِـلكَ البلادِ يُـقبـلُ الإلهُ المقتربُ وإليْها يُـومئ.

---

1. Isthmus
2. Parnassus
3. Delphi
4. Cithaeron
5. Ismenos

.4

أيتُها البلادُ المقدسةُ، يا بلادَ الإغْـريق! يا مَوطنَ كلِّ الآلهة ـ
أَصَحيحٌ إذنْ، أَصَحيحٌ ما سَمِعناهُ مَرَّةً حينَ كُنَّا شُبّاناً؟
يا لَها منْ رِدْهة للاحْتفَال! أرضيتُها المحيطُ ومَوائدُها الجبالْ ـ
شِيدَتْ لغرضٍ واحد في سَالفِ العُصُورْ.
لَكنْ أينَ العُروش؟ أينَ المعابدُ، أينَ الأناشيد،
أينَ المِزْهرياتُ بالرّحيق مَليئةٌ كيْ تنْتشي الآلهةْ؟
أينَ منازلُ الوحْي تُومضُ أَلَقاً على بُعْدِ أمْيالٍ وأمْيال؟
تَغْفو دلْفي، فأينَ يَتَرَدَّدُ صدى القَدَر الجبَّارْ؟
أينَ القَدرُ الهادرُ بغتةً مُتْرَعاً بالبهْجة تَعُمُّ كلَّ مكَانْ،
في صَفاء الفَضاءِ يُرْعِدُ ويُبرقُ فَتَعْشَى مِنَّا العُيونُ؟
أبانا! أيّها الأثيريُّ! نَادى القَدَرُ، فطارَ النِّداءُ آلافَ المرَّاتْ
منْ لسَان للسَان، فما كانَ هناكَ أحدٌ مُلزَماً بأن يَتحمَّلَ
وَحْدَهُ الحياة. قَدَرٌ مُشترَكٌ كهذَا بهْجةٌ، بهْجةٌ يَتبادلُها الغُرباءْ،
بهجةٌ تَغْدو مُتهلِّلة. يَتعاظمُ في النَّوم سُلطانُ الكلام:
أيّها الأبُ! يا أيّها البهيجُ! تُدَوّي الإشارةُ العتيقةُ حتى يَبلغَ
الدَّوي مداه، تَتوارثُها الأجيالْ، فتُثيرُ الدَّهشةَ وتَبعثُ

علَى الـخَلْق. هكذا تَقتحمُ الآلهةُ المشْهدَ، هكَذا يبزُغُ نهارُ الآلهةِ
منْ عَالم الظِّلالِ فيُشرقُ على الإنْسانِ، ويَـهُـزُّهُ منَ الأعْـمَـاقْ.

.5

في البدء، يقْبلُ الآلهةُ دونَ أن يُحسَّ بهمْ أحدٌ . يحَاولُ الأطفالُ
الاقْترابَ منهُمْ. لَكنَّ عَـظَـمتَـهم باهرةٌ تُثيرُ الرَّهبةَ
و تُعْمي العيونَ. ثَـمةَ نِصفُ إلـهٍ يَتذكَّرُ بصعُوبةٍ أسْماءَ مَـنْ
يَقتربونُ الآنَ منهُ وهمْ يَحملونَ إليـهِ الـهـبَاتْ.
لَكنَّ شجاعتَهم عظيمةٌ. تَـغْـمُرُ قَلبَه بَهجتُهم فلا يكادُ
يعْرفُ ما يَفعلُ بقَرابينهمْ. يَـشغلُ نـفْـسَـهُ
ويَـغْـدو مُسْرفـاً، فَتكادُ المدنَّساتُ تصيرُ مُقدَّساتْ.
يَـلْـمِـسُها بيـد مُباركَة، يَـلْـمِـسُها بـجُنونٍ عَـطُـوفْ.
تَسمحُ الآلهـةُ بكلِّ هذا ما استطاعتْ، ثُـمَّ تَـظـهـرُ
هيَ بذَاتِها في تَـجلّيَاتِـها الحقيقية. فَـيَـألَـفُ النـاسُ
هذا الـيُـمْـنَ، ويَـألفونَ النهارَ، ويَـألفونَ الآلهةَ المتجلِّيةْ.
وُجوهُ أولئكَ الذينَ كانُوا يُـدْعَونَ سالفـاً «الواحدَ والكُلّ»

تُسبغُ الطمأنينةَ القُصوى على كلِّ فؤادٍ صامتٍ ، وتُرْضي
وحْدَها فوراً كلَّ الشّهوات. هذَا شأنُ البشر. حينَ يَتجلَّى
الخيرُ في شيْء مَا، وحتّى حينَ يَتجلَّى إلهاً يَتفضَّلُ عليهم بالهبَاتْ،
لا يَرَوْنَ الخيرَ ولا يُدْركُونَه. عَليْهمْ أوَّلاً أن يَأْلَفُوه ؛
ثُمَّ يَعْتبروهُ بعدَ ذلكَ أحَبَّ ما يَملكُونَ.
آنَئذٍ فقط تَتَنامَى، كما تَتَنامى الزهورُ، كلماتُ المَديحْ.

.6

وَها هُمْ الآنَ يَستعدُّونَ بإخْلاصٍ لتكْريمِ الآلهةْ.
فَلا بُدَّ لِكلِّ شيْءٍ منْ أن يَجْهَرَ بمَديحهم حقّاً وصِدْقاً.
لا يَنبغي لأيِّ شيْءٍ تَستاءُ منه الآلهةُ المتعاليةُ أن يرى النورْ.
فالمسَاعي التافهةُ لا تَلِيقُ بالأثير المشْرقِ.
لهذا تَنهضُ الأُممُ في نظَام بَديع حتَّى تكونَ
جَديرةً بالمُثُولِ أمامَ حَضْرة الآلهةْ،
فَتَنشأُ المعابدُ والمدائنُ الجميلةُ، تَنشأُ مَتينةً نبيلةْ،
عَاليةً على الضِّفاف مُشْرفةً على الميَاه ـ لَكنْ أينَ هيَ الآنْ؟

أيْنَ المدنُ الـمُـتْـرَفـةُ الشَّهيرةُ تُـتَـوِّجُ المهْرجَانْ؟

أثينَا وطيبةُ تَـتَـلاشَيَان. أَلَيسَ يُسمَعُ صَليلُ الأسلحةِ

في الأولمبْ، أَليسَ يُسمَع صخبُ العَربات في الألْعابُ؟

أَلَـمْ تَـعُـدْ هناكَ أكـاليلُ تُـزيِّـنُ سَـفَـائنَ كُـورْنيثْ؟

لماذا تَظَلُّ المسَارحُ المقدَّسةُ العتيقةُ صامتةْ؟

أيْن الرَّقَصاتُ الاحْـتفـاليَّةُ البهيجةُ؟

لماذا لا يظهر الإلاه ـ كما عهدناه ـ فيَسِمُ بعلامته

جبيناً بشرياً مخلفاً هناك خاتَـمه على من يصْعَقُهْ؟

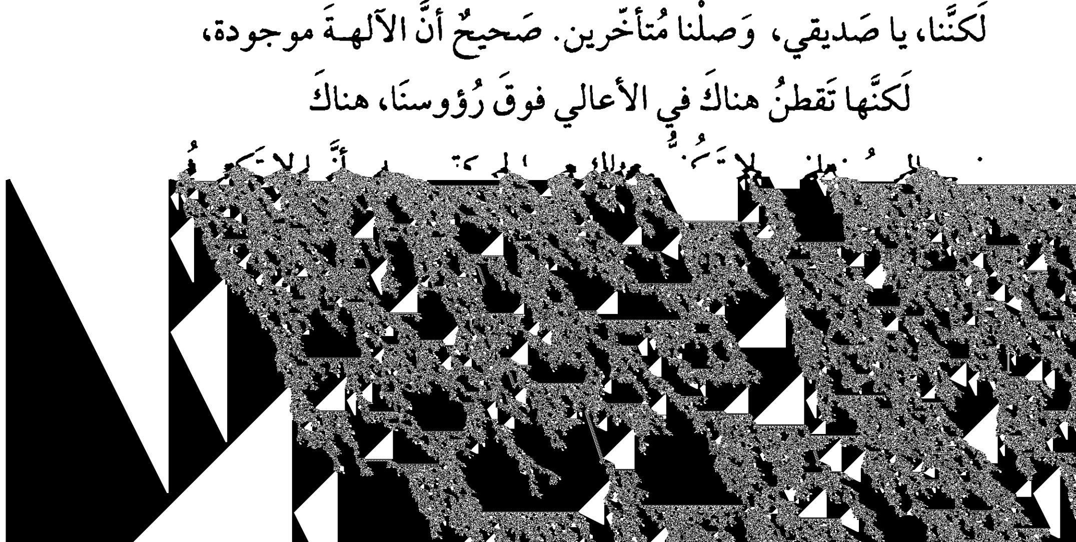
أو يحضرُ هو نفسه مواسياً، متخذاً ـ كما اعْتادَ ـ

هيئة بشَرٍ فانٍ، ثم يُعْلِنُ، ناعياً، نهايةَ أعْياد الآلهَةْ.

.7

لَكنَّنا، يا صَديقي، وَصلْنا مُتأخّرين. صَحيحٌ أنَّ الآلهـةَ موجودة،

لَكنَّها تَقطنُ هناكَ في الأعالي فوقَ رُؤوسنَا، هناكَ



الوِعاءُ الـهَشُّ لا يَقْدرُ على احْتوائِها إلَى الأبـد ؛ والـبَشَـرُ
لا يَقْدرونُ على تَـحَـمُّـلِ اكْـتمالِ الآلِـهة إلاَّ لماماً.
هكذا تُصبحُ الحياةُ حُـلماً يَـكتظُّ بها. لَـكنَّ الحيرةَ تُـعـينُـنـا
والنَّومَ يُـعـينُـنـا : تَـشـتـدُّ الـمِـحْنةُ ويَـذْلَـهـمُّ الليلُ،
إلى أن يَنشأَ في المهْدِ ما يكْفي منَ الأبطالْ ،
أبْـطـالٍ ذَوي قُلوبٍ قويّةٍ كما كانتْ قُلوبُ الآلِهةْ.
مُـرْعِـدينَ يَـنْـهضُون. وأرى أنا، في ذاتِ الوقت،
أنَّ النَّومَ أجدى من العيْشِ دونَ رفاق، أجدى مِنْ أن نُنفقَ أيّامنَا
مُنتظرين؛ لست أدري ماذا بوُسْعنا أنْ نقُولهُ أو نفعلَهُ ونحْنُ ننتَظرْ.
مَا جَدْوى الشُّعراءِ في الزمَن الشحيح؟
لكنَّكَ سَتقولُ إنّـهم يُشْبُهونَ الكَهَنةَ المقدَّسين، كَهنةَ إلهِ الخمْرِ،
يَنْتقلونَ في اللّيلة المقدَّسة منْ بَـلَـدٍ إلى بَـلَـدْ.

.8

مُنذُ زمنٍ وَلَّى ـ ويبدُو لنا أنَّه وَلَّى منذُ وقْتٍ طويلْ ـ
صَعدَ إلى السَّماء كلُّ أوْلئكَ الذينَ جعلوا حَياتَنا سَعيدةً.
أشاحَ الأبُ بوجْهه عن البشَر،
فانْهالَ الحزنُ علَى الأرضْ.
أخيراً، ظَهرَ عَبقريٌّ هادئ، يُواسي
كما تُواسِي الآلِهةُ، أَعْلنَ موتَ النّهارِ ثمّ اختفَى.
جَوقةُ الآلهة خلَّفتْ بعضَ الهبَات، تَركتْها عَلامةً على أنَّها
كَانتْ هنا وأنَّها سَتعودُ ثانيةً . وقَدْ نُعَبّرُ بأسْلُوبنا،
نحْنُ البشَرَ، كما تَعوَّدْنا أنَ نَفعل، عن امْتَنانِنا لتلكَ العَلامةْ.
صَار كلُّ ما هُو سَام أعظمَ منَ المتعة الرُّوحيةِ،
ولم يُوجَدْ حتى الآنَ من يَقوى علَى تلكَ البهجة التي هي
أسْمَى، معَ أنَّ بعضَ الامْتنانِ لاَ يزال كامناً وسْطَ البشرْ.
الخبزُ ثمرةُ الأرْض، لَكنَّ النورَ أيضاً يُباركُ الخُبزْ.
لَذَّةُ الخمْر مَصدرُها الإلـهُ المُرْعِدُ .
لِذلكَ نَتذكَّرُ الآلِهةَ، تلكَ التي كانتْ منْ قَبلُ معنَا،
تِلكَ التي سَتعودُ حينَ يَكونُ الوقتُ مُلائماً.

هَكذا يَتغنَّى الـمُغَنُّونَ بإلَه الخمْر، يَترنمون مُخْلصينْ،
وَلَـمْ يَكُ عَبثاً نَظْمُهمُ الـمَدائحَ الرَّنَّـانةَ في الإلَـه القديمْ.

.9

أَجَلْ، ها هُمْ يَقولُون، وهُمْ مُحقُّون، إنَّه يُصالِحُ الليلَ والنَّهارْ،
ويُحرِّكُ نجومَ السَّماء أبداً، مُتحكِّماً في أُفولِها وبُزوغِها ـ
وهوَ دَائمُ الفَرح، نَضِرٌ كالأَغْصَانِ التي يُحبُّها، نَضِرٌ كأغْصان
الصّنوبرِ الخضْراءِ دوماً، نَضِرٌ كإكْليل الزّهَر الذي خَلعَهُ على
اللّبْلاب ، لأنَّ اللّبْلابَ لا يذْوِي، ولأنَّه يُوحي بآثارِ الآلهةِ الهاربةْ،
الآلِهةِ الّتي فَرَّتْ وغاصتْ في ظلام أولئكَ الذين يَحْيَوْنَ
في غَيابها. تَأمَّلُوا نُبوءةَ الأقدمينَ بأُنشودةِ ذُرِّيةِ الرَّبّ :
انظُروا ! هيَ ذي ثَمَرةُ هسْپِّيرْيا ! في كينونتِها تَذوبُ كَينونتُنا.
إنَّها تَتَحّققُ في أبْناءِ البَشَرِ تَحقُّقاً تامّاً مُعجزاً؛
فَلْيُؤمِنْ أولئكَ الذينَ تحقّقوا منَ الأمر. لَكنْ لاشيْءَ يُفلِحُ،
معَ أنَّ أشياءَ كَثيرةً لا تُكُفُّ عن الحُدوث : إنَّنا نَظلُّ شَبيهينَ
بالظِّلالِ الجوْفَاء، إلى أنْ يُدركَنا الأبُ الأثيريُّ فَيصيرُ لنا جَميعاً

مِـلْكا مُشتَركـاً. في انْتظارِ ذلكَ، يَنزلُ الإبنُ، يَنزلُ السُّوريُّ، ينزلُ
فَـيَسيرُ هُنا بينَ الظّلال، حاملاً مِشْعلَ الرَّب الأعْـلَى.
فَيا أيُّـها الـحُـكَماءُ المقدَّسُون، تَأمَّـلوا؛ ها هيَ بَسْمةٌ تُـشرِقُ
من الرُّوح الحبيسَة؛ وها هيَ عَـينُها الجامدةُ في النور تَذوبُ.
الجبابرةُ النَّائمونَ في أحْضانِ الأرض يَحلُمونَ أحلاماً أنْعَـمَ -
وسربيرُوسُ[1] اليَقظانُ نَـفْسهُ يَشربُ فيَهْوي إلَى قرارَة الغَـفْـوَةْ.

1. Cerberus.

العَودةُ إلَى الوطَن

إلى أهلي

.1

مَا زالَ الليلُ في جَبالِ الألْب سَاطعاً والغيمةْ،
إذ تُدوِّن أنشودةَ بهجةٍ، تُغطِّي الوَادي المتَائبْ.
نَسَماتُ الجبلِ اللَّعوبُ تَندفعُ وتَتَواثَب،
وفجأةً يُومضُ صَافياً شُعاعٌ منْ خِلال أشْجَارِ التَّنوبِ ثم يخْتفي،
تَندفعُ الفوْضى الشّاملةُ مرتعشةً فَرحاً، نحو المعركةِ تَندفعُ عَجْلى بَطيئةً ؛
فَتيّةَ الهيئة، لَكنَّها جبَّارةٌ، تحتفلُ وسْط الأجْراف
بالخصَام الوَدُود. تَهتاجُ وتَهتزُّ في حدودِها الأبدية،
فالصبحُ من باطنِها يُقْبل مُسرعاً، مُنْتشياً، راقصاً.
العامُ هناكَ يبُدو بلاَ نهاية، الساعاتُ المقدَّسة،
والأيام، تُحْشَدُ وتُنَظَّمُ بجُرأة أشَدّ.
لَكنَّ طائرَ الرَّعْدِ يَضبطُ الوقت، يَظلُّ بين الجبالْ
في الفَضاءِ عَالياً، لِيُعْلنَ قُدومَ النّهار.
الآنَ تَستيقظُ القريةُ الصغيرةُ عندَ السَّفحْ.

وَلأُلْفَتِها للقِمَمِ تَتطلعُ بلا خَوْفٍ إلَى ما وراءَ أعالي الأشْجارْ.
تَأْنَسُ القَريةُ نُمُوّاً، فالجدَاولُ العتيقةُ تَسّاقطُ كالبرْق،
والأرضُ تُنْجبُ ، تَحتَ وطأةِ الشَّلال، ضباباً خَافتاً.
يَتَردَّدُ الصَّدى ويَثني هذا الورشُ الشَّاسعُ ذراعَهُ،
مُغْدِقاً هباتِهِ في النهارِ واللّيلْ.

.2

قِمَمُ الفِضَّةِ تَلمعُ صَامتةً هُناكَ في الأعَالي.
والثلجُ المتلألئُ مَليءٌ بالوُروْدْ.
وفوقَ النّورِ في أعْلى الأعَالي يَقطنُ الرَّبُّ،
طاهراً، مُستمتِعاً بلهوِ الأشعَّةِ المقدسةْ.
يَقطنُ هناكَ في هُدوئِه ووحْدانيتِه: نَيِّرةٌ، صافيةٌ طلْعَتُه.
ولأنَّه مُرتاحٌ في الفضاءِ الأثيري، فإنَّه مُستعدٌّ لأن يَهبَ الحياةَ
ويُنشئَ بهْجةً يُنعِمُ بها علينا. ورُويداً رُويداً يُرسِلُ مقتصداً،
إذْ يَتذكَّرُ ضرورةَ الاعْتدالِ ويَتذكَّرُ حاجَاتِ الأحْياءْ،
يُرسِلُ السَّعادةَ الحقَّ إلَى المدنِ ويُرسلُها إلى البيُوتْ،

ويُرسِلُ الأمطارَ اللطيفةَ لِتُثيرَ التُّربةَ على عَراءِ الأرْيافْ،
ويُرسلُ الأنسامَ الناعمَة، والغيومَ الحاضنَة، ومَواسمَ الرّبيع اللطيفةْ.
بيدٍ حَنْونٍ يُحيِّي الحَزانى،
يُعيدُ، وهْوَ الخالق، خَلْقَ المواسم،
يَلمِسُ قُلوبَ المُسنِّينَ الهادئةَ ويُنعشُها.
عَميقاً إلى القَرارِ يَمتدُّ تأثيرُه :
يُلْهِمُ ويُنيرُ، تَماماً كما يَشاءْ.
والآنَ تَبدأُ الحياةُ ثانيةً.
يُزْهِرُ اللُّطفُ كما كانَ مُزهِراً منْ قَبلُ،
تَحضُرُ الروحُ وتَقْتَربْ
وَيَمْلأُ الأَجْنحةَ طَبعٌ بَهيجْ.

.3

كانَ بوُسْعي أنْ أقولَ لَهُ أشْياءَ كثيرةً، فَكُلُّ ما يَخْطُرُ للشّعراء
وكُلُّ ما يَتغنَّونَ بهِ مُوجَّهٌ إلَيْهِ وإلَى مَلائكتِهْ.
طَلبتُ منهُ أشياءَ كثيرةً، لأجْلِ وطَني،
طَلبتُ منهُ الكثيرَ لِكيْ لا تَطْلبَ الرُّوحُ ما لَيسَ يُطَلبْ.
صَلَّيتُ كثيراً منْ أجْلكُم أيضاً، يا أبناءَ وطني، يا منْ لديْكم
مَنْ تَهتمُّونَ به هناكَ داخلَ الوطن: يا منْ إليكم يُعيدُ العِرفانُ المقدس
المَنفيِّين، يُعيدُهمُ مبتسماً. وكانت البُحيْرةُ في نفسِ الآنِ تُهدْهِدُ قارَبي،
والنُّوتيُّ يَجلسُ هادئاً ويَتغنَّى مادحاً تلكَ الرِّحلةْ.
بَعيداً على صَفحةِ البُحيرة كانتِ الأمواجُ الجَذلى تَجيشُ تحت الأشْرعَةْ،
وكانتِ المدينةُ إذْ ذاكَ تَنْهضُ لَمَّاعةً في الصّباحِ البَاكِرِ،
وَأقْبلَ مَركبُنا منْ جبالِ الألْب الظَّليلة وَسيقَ بمهارةٍ
لِيَرْسوَ في المَرْفإ. الشَّاطئُ دافئٌ هنا
والوديانُ الفَسيحةُ وَدُودَةٌ، تُزَيِّنُها
الدُّروبُ الجميلة، دُروبٌ مُزَخرفةٌ تُشرقُ في اتّجَاهي.
كانتِ الحدائقُ تَمتدُّ في كلِّ اتجاه، والبَراعِمُ تَتَفتَّح، وأناشيدُ الطُّيورِ
تُرحِّبُ بالمسافرِ الشَّارد . بَدا كلُّ شيْءٍ مَألوفاً؛

حتّى العَابرونَ كانوا يَتبادلُونَ التَّحايَا كأنَّهم أصدقاءْ،
وَكانَ كُلُّ وَجهٍ يَبدُو ذا قَرابَة.

.4

وَها هيَ حقّاً أرضُ مَوْلدِكَ، ها هيَ تُربةُ بَلدِكْ .
ما تَبحثُ عنهُ لمْ يَعُدْ بَعيداً وَسوفَ يَظهرُ لِيُلاقِيكَ.
ولَيسَ عَبثاً أن يَقفَ هذا المسَافرُ أمامَكَ،
يا لَنْداوَ السَّعيدةَ، أيتُها المحاطةُ بالأمْواجِ الشَّاديّة، كأنَّه ابْنُكِ
يَقفُ عِندَ بوّابتِك ويَتغنَّى مُتودِّداً بمحَاسِنكْ.
ها هيَ بَوّابةُ الأُمَّةِ المُرحِّبة، تَدْعُوك. تَدْعُوك أنْ تُسافرَ
وتَمضي في الأُفقِ الواعد البَعيد حيثُ تَتناسَلُ
الخَوارقُ، حيثُ يَشقُّ الراين طَريقَهُ مثلَ حيوانٍ أُسْطوريٍّ
وَيَهبِطُ، يَهْبطُ، يَهبطُ ، يَهْبطُ نَحْو السُّهولْ،
لِينْحتَ الوَادي المُتهلِّلَ في الصّخورِ ويَعْبرَ الجبالَ السَّاطعةَ
ماضياً نَحو بُحيْرةِ كُومُو، أوْ في اتْجاهِ الشَّمسِ الغَاربةِ
نَحوَ البحْرِ الواسِعِ. لَكنَّ قَوسَ البوّابةِ المقدسَ

يَحُثُّنِي علَى مُواصَلةِ رحْلة العَودةِ إلى الوَطنِ،
حَيثُ الطُّرقُ لَديَّ مَألوفةٌ،
لأَزُورَ الأرْيافَ وأزُورَ الودْيانَ البديعَةَ،
وديانَ نِكَارَ، وأزورَ الغَاباتِ، حيثُ تَحْتشدُ أشجارُ الزَّانِ،
وأشْجارُ البَتُولاَ الصَّامتةُ، وأشجارُ البلُّوطِ الشَّبيهةُ بالآلهةْ،
وأزورَ بُقعةً جَبليَّةً هُناك لاَ تَزالُ تَأسِرُني.

.5

الأَصْدقاءُ الأعزَّاءُ يَنتظرُونَ هناكَ لِيَستقْبلُوني.
صَوْتَ المدينة، يا صَوْتَ أمّي!
هَا أنتَ تَجُسُّني فَتُوقظُ ما تَعلَّمتُه مُنذُ زمنٍ سَحيقْ!
الْحَقُّ أنَّ الشَّمسَ والبَهجةَ معاً يُشرِقَانِ لأَجْلكمْ،
أيُّها الأَعزَّاءُ، ويُوشكَانِ أن يَكُونا في عيونِكم أشدَّ ألقاً.
أَجَلْ، لاَ تَزالُ الأشياءُ علَى حَالِها. تَنمُو وتَنْضج،
فَلَيْسَ منْ بينَ كائناتٍ تَحْيا وتَعشَقُ منْ يَتخلَّى عَن الوَفَاءْ.
وأَفْضلُ الأمورِ أنَّ هذا الكَنْزَ الرَّاقدَ تَحتَ قَوْسِ الأمْنِ

المقدّس، قَوْسِ قُزحٍ، كَنزٌ مَحفوظٌ للشُّبّانِ، ومَحفوظٌ للشيُوخْ.

ها أنذا أتَكلَّمُ كالأحْمق. إنَّهُ مَحْضُ الفَرح. لَكنْ، غداً،

حينَ نَخرجُ ونرى الحُقولَ الحَيَّة،

غداً، حينَ تُزْهِرُ الأشْجارُ في أعْيادِ الرَّبيعْ،

سَأُخَاطِبُكمْ وأُشاطِرُكمْ آمالي، أيُّها الأصدقاءْ.

لَقدْ سَمِعتُ الكثيرَ عن أَبينا العَظيم، لكنَّني لَمْ أَقُلْ

عَنهُ شيئاً. إنَّهُ هناكَ في الأعالي يُجَدِّدُ الوقتَ الشَّارد،

ويَبْسطُ سَطوتَه علَى الجبَال. قريباً، سَيمْنحُنا هِبَاتِه السَّماوية،

سَيَدْعُونا إلى بهْجةِ النَّشيد، ويُرسِلُ علَيْنا منَ الأَرواحِ الطيّبةِ أسراباً.

فيا أيُّها السَّدنةُ، تَعالَوْا ! يَا ملائكةَ العَام، لا تَتأَخَّري ! وأنتِ،

.6

يَا مَلائكةَ البيْتِ، تَعاليْ! لِتَمْتَدّ سُلطةُ السَّماءْ

وَلْتَسْرِ في عُروقِ الحياة، ولْتُوزِّع الفرحَ

ولْتُنْعِشْهُ ولْتُعزِّزْه ! كَيْ تَخدمَ الملائكةُ الجَذْلَى

طَوالَ الوقتِ طيبوبَةَ البَشر، كَيْ يُكَرَّسَ

مِثلُ هذَا الفَرحِ الذي أُحِسُّ بهِ الآن،

حينَ يَلْتَئِمُ شَمْلُ الأحْباب.

مَنْ أُنادي، حِينَ نُبارِكُ الوَجْبَةْ،

وَكَيفَ أَتَقدَّمُ بالشُّكر، أَخْبريني،

حينَ نَرتاحُ مِنْ تَعَبِ النَّهارِ؟ هلْ أُنادي الرَّبَّ الأَعلى باسْمِهِ؟

الرَّبُّ لا يُقْبَلُ التَّطاول. وَفَرَحُنا أَوْهنُ منْ أن يُعانِقَه.

يَنْبَغي أنْ نَظَلَّ صامتينَ أَغْلَب الوقْتْ،

فَالأَسْماءُ المقدسةُ مَفقودةٌ ـ ومَع أنَّ القُلوبَ تَخْفِقُ،

فإنَّ الكَلامَ يَسْتعْصي. لَكنَّ دَنْدنَةَ الأَوْتارِ

لا تَكُفُّ عن التَّصادي، وَلَعَلَّ ذلكَ يَسُرُّ

الآلِهةَ المقتربَة. اعْزِفُوا الأنْغامْ،

تَختفِ الهُمومُ، تَختفِ هُمومٌ تُزعِجُ أفراحَنا

حينَ يَغيبُ النَّغمُ . بهذه الأُمور، لا بغَيْرِها،

يَنْبَغِي أن يَعْتَنِي المُنشدونَ ـ شَاءُوا أَمْ أَبوْا.

رسَالةُ الشّاعِر

ضفافُ الغَانْج سَمِعَتْ أناشيدَ إلَهِ
البهْجةِ الظّافِر، حينَ أقْبَلَ باخُوسُ
من إندوسَ، بعدَ أنْ أخضعَ كلَّ البلادْ،
يُوقظُ الناسَ من نومهمْ بالخَمْر المقدّسَة.

وأنتَ يا مَلاكَ النّهار، ألنْ تُوقظَهمْ، ألنْ تُوقظَ
أولئكَ الذين لا يزالُون نياماً ؟ هَبْنا الشرائعَ،
هَبْنا الحياةَ، كُنْ، أيها السيّدُ، ظافراً. فَلكَ، أنتَ
وحْدَك، الحقُّ في أنْ تغْزوَ مثْلما يغزُو باخُوسْ.

لَستُ أتَحدثُ عنْ هَمِّ الإنْسان و مهَارتِه، وهْوَ
أنبلُ منَ الوحْشِ المفْترس، حينَ يَكدُّ في البيْت
وتَحتَ السّماءِ السّخيةِ ليكْسبَ قُوتَه ـ
بلْ أعْني هُنا شيئاً آخرَ، مُهمّةً عُهِدَ بها

إلَى عنَاية الشّاعر ومَهارَته!
فنحنُ مُكَرَّسونَ لخدْمة الأسْمَى فحسبُ،
لكَيْ يُدركَهُ القلبُ المُهيأُ، حينَ يُدركُهُ،
قريباً وممدُوحاً أبداً بمدائحَ جَديدةْ .

وأنتمْ أيضاً، يا كلَّ السّماويّين، ويا كلَّ المَنابع
والضّفافِ والبسَاتينِ والتِّلال، حيثُ تَعجَّبْنا
في البدءِ حينَ أَمْسكْتُم بنَا من شُعور
نَواصِينا، فتَملَّكْتْنا، منْ حيثُ لا نَدْري،

تلكَ العَبقريةُ السّماويةُ الخَلاَّقةُ،
أذهلتْ حَواسَّنا وعُقولَنا، وتَركَتْنا
مُنْخَطفينَ كأنَّ البرقَ صَعقَنا فأصابَ
مِنَّا عظاماً كانتْ لا تَزالُ تَرتَجفْ،

وأنتِ أيتُها الأفْعالُ القَلقَةُ في عالَم واسع لا يُحَدُّ !
أيتُها الأيامُ المشْؤومَة، أيتها الجارفةُ، فيكِ يَمْضي الإلهُ
بهَدوء متأمّلاً، يمضي إلى حيثُ تَحْملُه خيولٌ
عمْلاقةٌ، خيولٌ أفقدَها الغيْظُ الصّوابْ ـ

أَيَنْبغي أنْ لاَ نَتحدَّثَ عنكَ، وحينَ يَترَدَّدُ فينا
النغمُ المُطربُ، نغَمُ العَام الهَادئ المُخْلِص،
أَينْبغي أنْ يكونَ شبيهاً بعزْفِ طِفلٍ بَذِيء
تَتَحَكَّمُ فيه النّزواتُ، كسْلانَ يَعبثُ هازئاً

بأوْتارِ قيثارة المُعلِّم المُقدَّسة الطّاهرةْ ؟
أَلأَجْلِ هَذا، أيّها الشّاعرُ، سَمِعْتَ أنبياءَ
الشّرقَ العظَام، سمعْتَ غناءَ الإغْريق، وأخيراً
سمعْتَ الرعْدَ الإلهيّ يَصْدَعُ؟ أَلأَجْلِ هذَا ـ

أَلِكيْ تَفرضَ على الرُّوح حِرْفةً حَقيرة، وتَسْتَبقَ
الحضْرةَ الرّحيمة، مُستهْزئاً، وتُنْكِرَ البَساطةَ بقَسْوةٍ
لِتَسُوقَها وتَستعْرضَها أمامَ الدّهماء كما يُستعرَضُ
حيوانٌ أسيرٌ مقابلَ قُروشٍ مَعدُودةْ ؟

إلَى أنْ تَصرُخَ هذه الروحُ، وقد اسْتُفِزَّتْ
حتى اسْتَشاطتْ غيْظاً، إذْ تَتذّكرُ منْشأَها،
ويُقْبلُ السيّدُ لِيَرميكَ بسهَامِه الحارقة
ويَتركَكَ مُنطرحاً علَى الأرض، روحاً مُطْفأة.

اسْتُغِلَّت الأمورُ الإلهيةُ لزمَن طَويلْ،
كانت القُوى السّماويةُ تَعبثُ بعيداً،
وكَانت النِّعَمُ تُهدَر تسليةً،
جِيلٌ مَن المُحْتالينَ، مُتطاولٌ، جحُودْ،

وحينَ يَفْلحُ الربُّ الأَجَلُّ حُقولَهمْ،
يَحْسبون أنَّهم يَعرفونُ ضوءَ النّهار ويعْرفُون
المُرعِدَ، المنظارُ المُقرِّبُ يَكشفُ كلَّ الأشياء،
يُحْصيها ويُعْطي الأسْماءَ نُجُومَ السّماءْ.

لكنَّ الأبَ سَيُغطِّي باللّيلِ المُقدَّس
عُيونَنا، لِكيْ لا نَفْنَى. فهو لا يُحبُّ
الإسْرافَ الجارفَ. والسَّماءُ
لنْ تُخضَعَ أبداً بالقوّةِ الغَاشَمةْ.

وليسَ الإسْرافُ في الحِكْمةِ أيضاً مُستَحبّاً .
فالعِرفانُ مَعرفةٌ بالسّمَاء. لكنْ يَعسُرُ علَى الشّاعر
أن يَكْتُمَهُ في نفسه، فهو يُحبُّ أن يَسعى إلَى
مُعاشَرةِ الآخَرينَ، لكيْ يُساعِدُوه علَى أنْ يَفهمْ .

لكنْ، إنْ كـانَ لا بُدَّ، يَظَـلُّ الإنسانُ أمـامَ الـربِّ دُونَ وَجَـلٍ، فالبراءةُ تَـحفظُـه، وهو ليسَ في حاجةٍ إلى أسـلحةٍ ولا إلَى حيَل، يَظَـلُّ هُـنـاك إلى أنْ يَحْضُـرَ غيابُ الربِّ لِـكَـيْ يُنْـجِدَهْ.

أغْنيةٌ تُنشَدُ عنْد سُفُوح الألْب

أيتُها البَراءةُ المقدّسَةُ، أنتِ الأعزُّ لدَى الآلهة
كمَا لَدى البشَر، وأنتِ الأقربُ إليْهِمْ !
قدْ تَجْلسينَ في البيتِ أوْ في خَارجه عند
أقْدام هذهِ الجبَال العتيقَةْ،

تَملؤُكِ حكمةٌ أبداً راضيةٌ، فالمرءُ يعْرفُ منَ الخيْر
الكثيرِ، لكنّه غالباً ما يتطلّعُ إلَى السّماءِ مُسْتغرباً
كأنَّهُ حيوانٌ جامِحٌ؛ لكنْ، لَكَمْ تَبدُو لكِ كلُّ
الأشياءِ طاهرةً، أيتها الطّاهِرَةْ !

انْظري ! الحيوانُ الهائجُ في الحقْلِ مَسْرورٌ
بأنْ يشقَ بكِ ويَخْدمكِ، الغابةُ الصامتةُ
تُوجِّهُ مأثورَ حِكَمِها إليكِ،
والجبالُ تُعلِّمكِ

الشرائعَ المقدسةَ، وحتّى ذلكَ الذي يُقـررُ الأبُ
العظيمُ الآنَ أن يُظـهـرَهُ لنَا، نَحنُ ذوي الـخبْرةِ
الوَاسعَة، أنتِ وحْدكِ تَسْتطيعينَ أنْ تُبلغيه
بوضُوحٍ إليْنا.

أنْ أكونَ هكَذا معَ السّماويّين وحيداً وأنَ
تَقَرَّ عيْني في حَضرتهمْ، حينَ يَعبُرُ
الضوءُ، ويُسرعُ الجدْولُ وتُسرعُ
الريحَ نَحْوَ المكَان ـ

لستُ أعرفُ ولاَ أرْغبُ في شيْءٍ أشـدَّ نَعيماً منْ هذَا،
مَا دامَ الطوفـانُ لا يَجرفُني بعيداً، كما يَجرفُ أشجـارَ
الصّفْصاف، فَعليَّ أنْ أرحلَ معَ الأمْواجِ نائماً،
فأنَا أحظَى بكَاملِ العنايةْ؛

لكنْ يَسْعَدُ بالبقَاءِ في موْطنه مَـنْ يُؤوي الإلَهيَّ
في قلْبه المخْلصِ، وسَأسْعَدُ أنَا بأنْ أُتَرْجِمَكِ
وأُنْشِدَكِ، ما اسْتطعْتُ، يـا كُـلَّ
لُغاتِ السَّمَاءْ !

الهِجْرة

سْقْبيَا المباركةُ، يا أمّي،
يا مَنْ تَعُبركِ مئاتُ الغُدْرَان
كمَا تعبرُ لومْبارْديَا، شقيقتَكِ
المنيرةَ عبْر الطريقْ،
فيكِ ينْمُو منَ الأشْجارِ ما يكْفي،
منْها المزهِرةُ حُمرةً وبياضاً،
ومنْها الدَّاكنةُ التي تنمُو برّيـةً، تملؤُها خُضرةٌ عميقةٌ،
وجبالُ الألْب السّويسرّيةُ المجاورَةُ
تَـهبُكِ الظِّلال؛ فمَسْكنُكِ قريبٌ منَ
الموقدِ، وفي تُخومكِ تسْمعينَ
الينابيعَ ذاتَ الخريرْ.
ومنْ أكْواب الفضّة، تَسكُبُ الأيدي الطّاهرةُ الخمرَ،
بيْنما الشمسُ تُذيبُ بلّورَ الجليدَ، وأكاليلُ
ثلجٍ يَجرفُها
الضوءُ المتسارعُ
تُبـللُ التربةَ

بأصْفى الميَاه . هكَذا يتأصَّـلُ
فيكِ الولاءُ للأصْلِ. مكانٌ للسَّكنِ
منَ المنْبع قريبٌ يَـعْسرُ هَـجْـرُهُ.
ونَـسْـلُـكِ، المدنُ المتاخمةُ
للبحُيْرات الوامضةِ،
جنْبَ صفْصافِ نِكَار ، جنْبَ الرّايْن،
كُـلُّها تُـجْـمِـعُ على أنْ لاَ بُقعةَ
أجْدَرُ منْكَ بالإقَامَةْ.

لكنّني أتوقُ للقُوقَازْ !
فاليومَ سمعْتُ النّسمَات تقولُ
إنّ الشّعراءَ كالعَصافيرِ أحرارْ .
وأُخْبرتُ أيضاً منذُ عهدٍ بعيدْ،
أُخْبرتُ أنَّ أسلافنَا،
قبيلةَ الجرْمانِ،
انْطلقُوا بهدوءٍ
يومَ صيفٍ
في الدّانُوبِ

بلغُوا البحرَ الأسْودَ،
وقابلُوا أطفالَ الشمْسِ
الباحثينَ عن الظلّ.
لأمْـرٍ مـَا
سُمّي مِضْيافاً هذا البـحْرْ.

وإذْ لُمِحْـوا لأوَّل مرّة، كانَ الآخرونَ
هُمُ الذينَ اقْتربوا؛ افْتُتـنَ قومُنا
فالتحقُوا بهمْ تحْتَ أشْجار الزّيتُونْ.
حَدَّقَ الفريقُ منهُمْ في ثياب الآخَرِ
لكنْ لم يَفـهمْ أيُّ فريق منهمْ لِسانَ الآخرِ.
كـانَ القتالُ حتْمياً، لوْ لمْ يأتِ
من الأغصانِ نَسيمٌ مُنعِشٌ
نَشرَ - كالمعتاد - البَسَماتِ
علَى الوجُوه المحَاربةِ؛
تبادلُوا النظرَ لفترةٍ صامتينْ،
ثمّ مَدُّوا أيديَهم للمُصَافحةِ
فغدَوْا أصْدقاءَ. وسُرعان مَا

تبادلُوا الأسْلحةَ وتبادلُوا كلَّ
بضَائع البيْت الثمينةْ،
تبادلُوا الكلمةَ، فرأى الآباءُ
أنْ لاَ شيْءَ ينقصُ أعْراسَ أوْلادهِمْ.
ومنْ هذه الصّلاتِ المقدّسةِ
نشأ عِـرْقٌ، أجملُ منْ
أيّ نوْع بشريٍّ ظهرَ
قبل ذلكَ أو بعدَهُ.
لكنْ، أين أعثرُ عليكمْ، يا أقاربي الأعزّاءْ،
كيْ نُعيدَ الاحتفالَ بأيْمانِ أسْلافنَا
ونُكَـرِّمَ ذكْراهُمْ ؟
هناكَ على الشّواطئ، تحْت أشجَارِ
أيُونْيا، علَى سهُول كايسْتر،
حيثُ تَنْعـمُ الغرانيقُ في أثيـر
تَـحدُّهُ القممُ الـلامعـةُ البعيدةُ،
أنتمْ أيضاً كنتُمْ هُناكَ، أيّها المنَعّمُونْ!
أوْ حرثْتُـم جْزراً تُكَلِّلُها الكُرومْ،
تتعالَى فيها الأغَاني؛ وآخرونَ أقامُوا

جنْبَ تايجتُوسَ، جنبَ هيمْتُوسَ الأسطوريِّ،
وكانُوا آخِرَ منْ شَرَّعَ الإرْثَ للأرامل ؛
لكنْ منْ ينابيع پّارنسُوسَ إلى غُـدْرانِ
تمولُوسَ اللامعةِ كالذّهب، تَردَّدتْ
ترنيمةٌ خالدةٌ، وشبَّ الحفيفُ
في الغَابات، وتناغمتْ
كلُّ القيثاراتِ
بلمْسةٍ رقيقةٍ منَ السّماءْ.

يَا أرضَ هُوميرُوسْ!
بجَانب شجَرةِ الكَرز القُرمزيّةِ،
أو قبْل أن تنضجَ في الدّالية
ثمراتُ الخُوخ الغضّةُ التي أرسلتِْها إليَّ، أوْ حينَ
تُقْبلُ العصفورةٌ من بعيدٍ، حاملةً أخباراً لا حَصْرَ لهَا،
وتبْتني لهَا في جدَاريَ عُشّاً،
في موْسم الرّبيع، وتحْتَ النجومْ،
أتَذكَّرُكِ، يا إيُونْيا. لكنّي جئتُ لأزورَكِ،
أيتُها الجزُر، لأنّ الرجالَ مولَعُون بالتَّجليّاتْ،

ولأزورَكِ يا مَشارِعَ الأنْهار، وأنتِ يا أروقةَ ثتيسْ،
وأنتِ، أيتها الغاباتُ، وأنتِ أيتها الغيومُ فوْق إيدَا !

لكنِّي لا أَظنُّ أنّني سأقيمُ طويلاً.
مَا أنا هَاربٌ منهُ باردٌ ويَصعبُ إرْضاؤُه،
هاربٌ أنا منْ سِـرٍّ، منْ أُمِّي أنا هاربٌ.
واحدٌ منْ أبنائها، الرّايْن، حاول مرةً
أن يغتصبَ قلْبَها؛ ثم توارَى في المدَى،
مُزدرًى، ولا أحدَ يعرفُ أينَ مضَى.
لاَ أرغبُ في أن أهْجُرَها هكذَا
وآتي لمجرّد أن أدْعُوَّكُنَّ،
يا ألطافَ بلادِ الإغريقِ،
يا بَناتِ السّماءْ،
لِتَقُمْنَ، أيتُها الجَميلاتُ، بزيارتنَا
إنْ تكُنِ الرحْلةُ طويلةً، طويلةْ.

حين تَهُبُّ النّسماتُ أعْذبَ
ويُطلقُ الفجْرُ سهَامَه العاشقةَ

في مُـحيطنا الصَّـبُورْ،
وتُـزهِـرُ الغيماتُ الـخـفيفةُ
فـوْقَ عُـيونِـنـا الـخَـجـولْ،
سَنسْـألُـكَ كيفَ، يا كارْيتُوسَ،
حللْتَ وسْطَ الأجْلافْ؟
لكنَّ وَصَيفاتِ السّماء مُـعـجزةٌ،
وكلَّ الأشْياء سَليلةُ الآلهـةْ.
حاولْ أنْ تباغتَها، تَـصِـرْ حُلماً،
حاولْ بالغضْبِ أن تُـضـاهيَها،
سيكونُ العقابُ لكَ جَزاءً ؛
غالباً ما تتحققُ الأمورُ
حينَ تـكـادُ تنْساهَـا.

جرْمَانْيَا

لستُ أقصدُهُم، المنعَّمين، الذين كانُوا في مَا مَضى يتجلّوْنْ،
لستُ أقصدُ تلكَ الصُّورَ، صُورَ الآلهةِ في البلاد العَتيقةِ،
حقّاً، رُبما الآنَ أسْتحْضرُهمْ، لكنْ، إذا كانت
المحبّةُ في قلْبي تُشاطركِ الآنَ العَويلَ، يا مياهَ وطَنِي،
فماذَا يبْغي فؤادي أكثرَ منْ ذلك في حِدَاده المقدَّسْ؟
فالبلدُ يمتدُّ هناكَ مفْعماً بالآمالْ،
وكالسّماء التي تَدلَّتْ في أيّام الحرِّ العصيبَةِ،
تَطرحُ عليْنا سماءُ اليوم،
أيتها الأنهارُ التّواقة، ظِلَّ النبوءَة .
مَحفوفةً بالوعْد، وفيهَا أرى الوعِيدَ أيضاً،
لكنّني أبداً لنْ أفارقَها.
ولنْ تتقهْقرَ رُوحي الآنَ لتلوذَ بكُمْ،
أيّها الغائبُون، يا مَنْ أسرفتُ في محبّتكُمْ.
ويعْتريني الخوفُ منْ أنْ أحدقَ في جَمال جباهكُمْ،
كأنّها ما تغيّرتْ، لأنّ في إيقاظ الأمواتِ
هَلاكاً، وقلَّمَا يُبَاحْ.

أيتُها الآلهةُ التي فَرَّتْ ! وأنتِ أيضاً، يا مَنْ لا تزالينَ هُنا،
لكنَّكِ مرةً أخرى تفْرضين حُضورَكِ، استنْفدتِ وقتَكِ، مضتْ
عهُودُك. كلاَّ لنْ أُنكر هنا أيَّ شيْءٍ ولن أطلبَ أيَّ فضْلْ.
وحين تَـحْلُّ النهايـةُ، ويَـخبُو ضوءُ النهارِ،
سيكونُ الرَّاهبُ أولَ منْ يُضرَب، لكنّه سيُضَربُ بـمحبّة
وستَسير في إثْره، إذْ يهبطُ نحْو الظّلام، الطائفةُ والأيقونةُ
والمعبدُ، ولن يُشرقَ بعد الآنَ منهُم أحدْ .
وهْوَ لنْ يكونَ منذ الآنَ إلا منساقاً كما تَنساقُ أسطورتُهُ،
كما ينساقُ دخانٌ ذهبيٌّ مُنبعثٌ منْ مَحرقة جَنازة، إذْ ينساقُ
ويواصلُ طريقَه مشعْشعاً حوْل رؤُوسنا الـمُرتـابـةِ
دون أن يعرفَ أحدٌ منّا مَا يحدُث لهُ . سيُحسُّ
بالأشْباح المبْهمة، أشباحِ أولئك الذين كانُوا يوماً هُنا،
أشباحِ أولئك القُدماء الَتي تزوُر الأرض في الآونة الأخيرةْ.
فأولئكَ الذين يُنتظَر مَجيئُهم يصْطدمُون الآن بنَا،
ولن يَظلَّ ذلك الجمعُ منَ المخلُوقات البشرّيةِ
التي حَلَّتْ بها الألوهيةُ مقيماً في زُرقَة السّماءْ.

ها هُوَ الحقلُ قد اخْضرَّ قُبيْلَ
أوانِ العُسْرَ، والقَرابينَ الـمُعَـدَّةَ لهُمْ

جاهزةٌ لِـمَـأدُبة الـنُّـذُر، ويمتدُّ الوَادي مُشرَعـاً
تـمتّد الأنهارُ مُشْرَعـةً حول جبَال النبُوءَة،
كيْ يُـمعنَ رجَلٌ نظرَه في الشّرق ذاتِـهِ
ثمّ يتأثرَ لذلكَ بتحوّلات كثيرةْ.
لكنْ مَن الأثير تَـنْزلُ الصُّورةُ المخلِصةُ،
ومنْه تهطلُ، بلا حسَاب، كلماتُ الآلهةِ
تتردّدُ منْ عُمق الأيْكِ أصداؤُها.
والنّسر القادمُ من إنْدُوس يُحلِّـق فوْقَ
قمم پـارْناسُوسَ المكسوةِ بالثلجْ،
يحلق عالياً فوق تلال الـنُّـذُر في إيطاليا،
ويبحثُ عن غنيمة زاهية يقدمُها للأب،
يُحلّق لاَ كما كَان منْ قبلُ، فقد اكْتملتْ
في الطّيران مهَارتُـه، ذلك النّسرُ العَريقُ،
المنْتشي، إذ يحلّق فوْقَ جبَال الألْبِ
باسطاً في النّهاية جناحَيْه يشاهدُ مختلف البلْدَانْ.

هيَ، الراهبةُ، أهْدأُ بناتِ الرّبِّ،
الولْهانةُ بعشْق الصّبْمتِ في عُمْق البراءةْ،

إنها هيَ التي يبْحَثُ عنها، هيَ التي تطلعتْ
مفتوحةَ العيْنين، كأنها لم تكُنْ تعرفُ العاصفةَ،
حين قرعَتْ حوْل رأسها عاصفَةٌ منذرةً بالهَلاَكْ؛
بمصيرٍ أفضلَ تنّبأتِ الطفلةُ،
وفي النهاية انتشر الذهولُ في السّماءْ
لأنَّ إيمانَ مخْلُوقٍ واحدٍ يُضاهي إيمانَها،
يُضاهي إيمانَ القوَى المُباركةِ من عليائها؛
لذلكَ بعثُوا الرّسولَ الذي تَعرَّفَ فوْراً عليها،
فطفقَ يتأملُ مُبتسماً : أنتِ يا مَنْ لا تنكسرين،
عليكِ أن تُجربي كلمةً مختلفة. ثم أعلنَ الفتَى
وهو ينظر إلى جرْمانْيا:
«أجل، أنتِ، أنتِ الّتي اصْطُفيتِ
مَنْبعاً للمحبّة كلِّها فصرْتِ قويةً
لتحْملي عبْءَ القدَرِ الميمُون،

فأنت، أنت الثملةُ، المختبئةُ في الغاباتْ،
المزهرةُ أفْيوناً مفْعماً بعذْب النُّعاس،
ظللتِ لزمَن طويلٍ شاردةً ولمْ تلتفتي إليّ،

قبل أن يُحسَّ بكبرياء العَذْراء منْ هُنَّ أدنى ،
ويتسَاءلْنَ في اسْتغراب لِمَنْ ومنْ أينَ أنتِ،
لكنْ، أنتِ نفسُكِ لم تكوني تعْرفين. لكنّي لمْ أخطئ
في تقْديرك، خلسةً، وأنت تحْلمينَ في الظّهيرة،
وحينَ رحَلتُ تركتُ عُربونَ صَداقتي،
تركتُ زهْرةَ الثّغْر، وبمحبّة تكلّمتِ أنتِ.
على أنّكِ، أيتها المنعَّمةُ، المنعَّمةُ، معَ الأنهار أيضاً أرْسلتِ
ثروةً من كلِمَات ذهبيةٍ، وهَا هِيَ تتواصَلُ الآنَ
في كُلّ الأقَاليم. فأنتِ ، مثل المقدّسة،
مُنجبةِ كلَّ الأَشياء، مُؤبِّدةِ الهَاويّة، تلكَ
التي يُسمّيها الرجالُ في عُهود أخْرى بالمختفيّةِ،
يكادُ قلبُكِ الآنَ أن يكونَ مليئاً بالحُبِّ وبالحزَن،
مليئاً بالنّبوءات، وبالسّكينَةْ.

ارشُفي، آهِ، ارشُفِي نسَماتِ الصّبَاحْ،
ارشُفيها إلَى أن تنْفتحِي
وتُسمِّي ما ترَيْنَهُ أمامَكِ ؛
بعْدَ الآن لن يَظلَّ

ما لمْ يُنطقْ سِرّاً،
مَع أنّه ظلّ لزمَن طويل كَتُوماً؛
فالعارُ يليقُ بنا نحْنُ الفانين،
ومنَ الحكمة أن نتكلّمَ هكَذا
عن الآلهة فِي غَالب الأحْيان.
لكنْ حيثُ صَارَ الذهبُ أغزرَ منْ أصْفَى
الينابيع وصَار غَضبُ السّماء مَهيباً،
فلاَ بدّ منْ إظهار الحقيقةِ مرّةً
بيْن اللّيل والنّهارْ .
طَوِّقيها الآنَ ثلاثاً،
لكنْ دَعيها كَتُومةً، كما وجْدتِها،
أيتُها العذراءُ البريئَةْ.

مرةً واحدةً فقطّ، تَلَفَّظي باسْم أمِّكِ،
يا ابنةَ الأرضِ المقدّسةِ. المياهُ تهْدرُ فوقَ الصخرِ،
العواصفُ في الغَابة، وعنْدَ ذِكْرِ اسْمها تُدوِّي
المخْلُوقاتُ الإلهيّةُ التي مضَتْ منذ زمَن سحيقْ.
لَكَمْ تغيّر كلُّ شيء ! وإلَى اليمين هناكَ تُومضُ

وتتكلمُ مخلوقاتٌ لمْ تبلُغنا بعد، تَهبُ البهجةَ من بعيدْ .
لكنْ في مرْكَز الزّمن،
يُقيم الأثيرُ معَ الأرْضِ العذْرَاءِ
مُسالِماً للمقدّس،
وللذكرى، يقطنُ بمسّرةٍ
أولئك الّذين لا يفْتقرون أبداً،
يقْطنُون في ضيَافة أولئك الذينَ لا يفْتقرون أبداً،
وسْطَ أعيادِكِ المقدسّة، يا جرْمانْيَا،
حيثُ أنتِ الرّاهبةُ العزْلاَء، تُقدّمين المَشْوَرةَ
لمنْ حولكِ، مُلوكاً وشعوبْ.

پّاتْـمُوس (1803)

الـرَّبُّ وَافرُ الـنِّـعَـمْ،
ولاَ أحدَ يَستطيعُ، دونَ عَـوْنٍ، أن يُـدرِكَـهْ.
لَكنَّ الـعِـنـايـةَ الـمُـنـقِـذةَ مَـوجـودةٌ
أنّـى وُجِـدَ الْـهـلاكْ .
في الـظَّـلام تُـقـيـمُ الـنُّـسـورُ،
وأبْـنـاءُ الأَلْـب،
غَـيرَ هـيَّـابـيـنَ، يَـعـبـرونَ الـهُـوَّةَ
فَـوقَ جُـسـورٍ مُـهَـلْـهَـلَـةِ الْـبـنـاء.
فما دامتْ قِـمَـمُ الزمانِ
تَتراكمُ حَـولَنا في الصَّفاء،
وما دامَ أحْبابُنا يُقيمونَ قُرْبَـنا،
في جبالٍ مَعزولةٍ يُضْنيهمْ التَّـوْقُ،
هَـبْـنَـا مياهاً بَـريـئـةً،
هَـبْـنـا، آهِ أيّها المخْلِصُ، أجْـنـحـةً
كَـيْ نَـعْـبُـرَ إليهمْ ثمَّ نعُودْ.

هَذَا ما كُنتُ أقولُهُ
حينَ حَمَلني روحٌ،
بأسْرعَ مِمَّا تَوقعتُ،
وأخَذني منْ بيْتي إلَى
أبْعدَ ممَّا تَصوَّرتْ.
وإذْ حَلَّقتُ،
رأيتُ غَاباتِ الوطَنِ الظَّليلةَ
وغُدْرانَه التوَّاقةَ كالبَشَرْ،
رَأيتُها تتلاشَى في الغَسق،
وما عُدْتُ أعْرفُ هذه البلادْ،
معَ أنَّنا طَالما تَألَّمْنَا معهَا،
لَكنَّها تَبدَّتْ لي فوْراً،
غَامضةً في إشْراقِها،
تبَدَّتْ في السَّديمِ المُذهَّبِ
بخُطى الشَّمس،
تَبدَّتْ عَبِقةً بآلافِ الموائدْ،

الآن، تَبدَّتْ لي آسْيا زَهْرةً مُتفتّحةً،
وتَملَّكَني الانْبهارُ فَبحَثْتُ هُناكْ

عنْ شيْء قدْ أعرفُه، ولأنَّني لَمْ أرَ منْ قَبْلُ
تلكَ الطُّرقاتِ الفَسيحةَ حيثُ يَنسابُ باكْتُولوسُ
علَى سَريرِه المُذَهَّب قَادماً من تْمُولُسْ،
حيثُ يَنْتصبُ تُوروسْ وميسُوجيسْ،
والحديقةُ منْ شذَا الزّهُورِ تكادُ تكونُ وسَنَانَة ...

أَيَا جَزيرةَ الضّياءْ!
فحينَ يَخْبو الصَّيتُ، وتَخْبُو البهْجةُ في العُيونِ،
تَسْتسلمُ للشَّك مَسالكُ أهْملَها الناسُ فلمْ تَعُدْ وَارفةَ
الظِّلالِ وتَفْنى الأشجارُ والمَمالكُ وأرضُ العُيونِ الفَتيةُ،
وَيَغْدُو القَويُّ
مُدمَّراً وَالبَراءةُ الفِطريّةُ
مِزَقاً. فَمِنَ الرَّبّ خالصاً
يَحْضرُ الضميرُ ويَغيبُ، يأتي الوحْيُ، يَدُ الرَّبّ
مِنْ سَماءِ الدَّيْنُونةِ تُومئُ ثريةً، ثُمَّ تَنْشأُ لِفتْرةٍ
تلكَ الشَّريعةُ المَكْنونَةُ، ويَنشأُ المَنْصِبُ، وتُرفَعُ
الأيْدِي، وتُكبَحُ الخواطرُ الشّرّيرةُ المُتَنَزِّلَةْ.
فالرَّبُّ يُبغِضُ بشَراسةٍ أدْعيَاءَ العلْمِ

بكُلِّ شيْءٍ . لَكنَّ يوحنّا ظَلَّ في مَوقعهِ طاهراً.
حينَ أعْلنَ شخصٌ مّا أنَّ كلمةَ النُّبوءةِ دُنيويّةْ

منَ الأردُنِ ومنَ النّاصرةْ
بَعيداً عن البُحيْرة، عندَ كَفْرنَاحُومْ ،
بَعيداً عن الجَليل، ونَسَماتِ الجَليل، وعنْ كنْعَانْ.
سأَتَلَكَّأُ قليلاً، قال. قَطْرَةً قطرةً
أُرْوِي زَفيرَ الضَّياءِ، وكان زَفيراً
كَضَاري الوُحُوشِ المتعطّشةِ في أيّام
عَمَّ فيها بلادَ سُورْيا عَويلُ الأطفالِ المُغْتالينْ،
كانوا يَموتُونَ بلُطفٍ ربَّاني مُتأصِّل،
ورأسُ المعمدانِ المقطُوفةُ مُستقرةٌ في الطَّبَقِ،
وَضَّاحةً كمخْطوطٍ يَرفضُ أن يَنطمس. أَصْواتُ الرَّبّ
بالنَّارِ شَبيهةٌ. لَكنَّ الحِفاظَ علَى الأُمورِ العَظيمةِ
عَسيرٌ في ظِلِّ مثْل هذه الأحْداثِ الجِسَامْ.
لَيْس هذا مَرعًى. على المَرْء
أن يَتَشبَّثَ بالبدَاية. لَكنَّ الأُمورَ الآنَ
تَبدأُ منْ جَديد كمَا بَدأتْ من قبْلُ.

يوحَنّا، المسيحُ، دَعْني أَتَغَنَّى بهذَا الأَخير
كما أتَغَنَّى بهرَقْلَ أو بالجزيرة،
بجزيرةٍ تُطوّقُها أَمْواهُ المحيط البَاردةُ،
تلكَ الجزيرةِ التي حضَنتْ بيلْيُوسَ وأنقذتْهُ،
فأنْعشتْهُ بَعدَ صَحْراءِ الأمْواج الواسِعَةْ.
لَكنَّ هذَا لنْ يُفيدَ. لِلقَدَرِ رَنينٌ مُختلفْ. رَنينٌ أرْوعُ.
رَنينٌ أغْنَى وأنْسَبُ للغنَاء. يَظَلُّ قَرارُ الأُسْطورةِ
مُنذ ظُهورهِ بعيدَ المنَال. وَلْأَتَغنَّ الآنَ
برحْلةِ الفُرسان إلَى أورْشَليمَ، وبهَايْنريشَ شارداً
مُتألِّماً في كانُوسَا. لا تَدَعْ
شَجَاعتي تهْجرُني. لَكنْ لا بُدَّ
أن نُدركَ هذَا أوّلاً. منذ قُدوم المسيح والأسْماءُ
شَبيهةٌ بنَسيم الصّباح. تَصيرُ أَحلاماً. تَقَعُ،
كَالخطيئةِ، علَى القلْب، وقد تَقتُلُكَ إنْ لَمْ تُفلحْ

في أنْ تُقدِّرَها، وتَفهمَ.
لَكنَّ الرَّجلَ اليَقظَ
رَأى وجهَ الرَّبّ

وهْوَ يُجالسُهُ وقتَ المَأَدُبةْ
رآهُ في سِرِّ الْكَرْم،
وبعْدَ أنِ استقرَّ قرارهُ في رُوحِه العَظيمةِ،
حَكَمَ الرَّبُّ علَى نَفْسهِ بالموْتِ وبالمحبّةِ القُصْوى،
لأنَّه لمْ يُفلحْ في العُثورِ علَى كلمات للحنَان كافية
أوْ علَى كلماتٍ كافيةٍ للتّعبير عن الإثْبات. لَكنَّ نُورَهُ
كانَ مَوْتاً. فَغَضَبُ العالم لا يَدُومْ.
لَقدْ أَدْركَ هذَا. كُلُّ شَيْءٍ خَيرٌ. وعِندئذٍ مات.
لَكنَّ أصْفياءَه ظلُّوا يَرونَ هَيئةَ المُتَنَسِّكِ
حتى النهاية، يَرونَها راكعةً
أمامَ الرَّبّ، كمَا رَكَعَ مُتأَمِّلاً عَصرٌ
نَشوانُ ببهْجَةِ الحقيقةْ.

لَكنَّهم يَحْزَنونَ الآنَ
لِقُدوم المسَاء. أنْ تَظَلَّ طَاهراً
في مُواجهةِ قَدَرٍ كهَذا يَعْني حيَاةً
بقلْب عُمرُه سَيكونُ أطولَ من نِصفهَا.
لَكنَّ ثَمَّةَ كَثيرٌ مِمّا يَنْبغي تَجَنُّبُه.

إفْـراطُ الـحُـبِّ في الـعـبـادة مُـهـلـكٌ،
وغَـالِـباً ما يَـكـونُ مَـاحِـقـاً.
لَـكنَّ هَـؤلاءِ الرِّجـال لَـنْ يَـتـخَـلَّـوْا عن وجْـهِ الـرَّبّ
أوْ عَنْ أوْطانِهم. فهذَا كانَ فِطريّاً فيهمْ
كالنَّارِ في الـحَـديد، وظِـلُّ ذلك الذي أَحَبُّـوهُ
مَـرَّ بـهـمْ كأنَّـهُ الـطَّـاعُـونْ.
لِـهـذا أَرْسلَ إليْهم الرُّوحَ،
فزُلْـزِلَ بَـيـتُـهم ،
عَـواصِفُ الـرَّبّ على الـبُـعـد أرْعَدتْ،
تَـخْلقُ النَّاسَ ، أسْـنـانُ التِّـنِّـيـنِ حِـيـن....
عَـنْ قَـدَرٍ مَـجـيـدْ ...

ذكْـــرَى

تَـهـبُّ الشَّماليةُ منَ الشَّرق،
تلكَ الرِّيـحُ الأثِيـرةُ لـديّ،
فهيَ تَـعِـدُ الـبـحَّـارةَ
بـروحٍ ناريّةٍ وبرحْلةٍ ميمونَةٍ.
لَـكـنْ، امْـضِ الآنَ، وحَـيِّ
الـجَارُون* الـحبيبَ،
حَـيِّ حدائقَ بورْدُو،
حيثُ تَـمتـدُّ الطريـقُ
جنْبَ الضَّفةِ الوَعْـرَة،
ويَجْري الجدَولُ ليسْتَـقـرَّ في النّهرِ العميقْ،
حيثُ يُـطـلُّ منَ الأعْلَى
زوجٌ فِـضّـيٌّ نبيلٌ منْ أشجَارِ الـحَـوْرِ والبلُّوط.

أَذكـرُ جيداً

*.نهر الجارون في مدينة بورْدُو .

كيْفَ تَميلُ على الطَّاحُونةِ
تِيجانُ الدَّرْدارِ،
وتنْمُو في الباحَةِ شجَرةُ التِّينْ.
في الأعيَادِ تَسيرُ النِّسوةُ السُّمْرُ
على التّربة الناعمَةِ نعومة الحرير،
وفي آذارْ،
إذْ يَتَساوى الليلُ والنَّهَارُ،
تَنبعثُ النَّسماتُ المنعشةُ
وتَنسابُ عَبْرَ الدُّروب الحَنون،
مُثْقلةً بالأحْلامِ الذَّهبيّةْ.

لَكنْ هَاتِ
الكأسَ العَبقةَ
المتْرعةَ بالنُّورِ المظْلِمِ،
كَيْ أرْتاحْ.
سيكون عذْباً
أنْ ينامَ المرءُ بيْن الظِّلالْ.
لا يَليقُ بالمَرءِ أن يَظلَّ
غافلاً عنْ خَواطرِ البَشرْ.
لَكنَّ التَّخاطُبَ أيضاً مُستحْسَنٌ.

أن يُعبِّرَ المرءُ عنْ كَوامِنِ القَلب،
وَيَسْمعَ الكثيرَ عنْ أيام العِشْق،
وعن المْآثِر التي تُنْجَز.

لَكنْ، أيْنَ الأصْدقاءُ
أينَ بلاّرْمِنْ* وَرفاقُه؟
يَخافُ الكثيرُونَ منَ الذَّهاب إلى المَنْبعِ،
فالْكنزُ يُعْثَرُ عليهِ أوَّلاً في البحْر،
إنَّهم، مثل الرسامين، يَلْتقِطونَ الجَمال
من الأرض حولَهم،
ولا يَحْتقرونَ الحَربَ المُجنَّحةَ،
أو العيْشَ لِسَنواتٍ مُنعزلين
تَحتَ السَّاريةِ المَكشُوفة -
حيثُ لا تُرَى أضْواءُ حَفلاتِ المدينة
تُومِضُ طَوالَ اللَّيل،
ولا تُسمَعُ أصْواتُ الأوْتارِ أو أصْداءُ رَقَصاتِ الأهَالي.

---

*. Bellarmin

الرِّجالُ الآنَ رحَلُوا
إلَى الهِنْدِ ...
من قِمَم تَعْصِفُ فيها الرياحُ
وتِلال تَكسوها الكُرومُ
حيثُ يَهبطُ الدّارْدُونُ
في رُفْقةِ الجَارُون العظيمِ ؛
شاسعاً كالمُحيطِ
يَتدفَّقُ النَّهرُ نَحْو الآفَاقْ .
لَكنَّ البحْرَ يأخذُ الذّكْرَى ويمنحُهَا
والحبُّ بدوره يأسرُ النّظرات
لكن ما يبْقَى يُؤسّسهُ الشعراء

إسْتـِـر*

تعالي الآنَ، أيتُها النّارْ !
فنحنُ نَتلهّفُ
لرؤْيةِ النّهارْ،
وحينَ تَعْبُرُ
المحنةُ الرُّكَبَ
يَسمعُ المرءُ الصّيْحاتِ في الغابةْ .
لكنّنا من إندُوسَ جئنا نُغَنِّي،
قَدِمْنَا منْ مكَانٍ بعيدٍ،
من ألْفيُوس، وسافرْنَا طويلاً
بحثاً عن اللاَّئقِ.
وليسَ بغيرِ الأجْنحةِ يَستطيعُ المرءُ
أن يَمتدَّ ليلْمسَ الأقربَ
فيبلُغَ الجهةَ الأخرَى.
لكنّنا نَرغبُ أنْ نبني هُنا .
فالأنهارُ تجعلُ الأرضَ

---

* Der Ister الاسم القديم لنهر الدانوب .

صالحةً للزّراعة . وحيثُ تنمُو الأعْشابُ
ويتجمَّعُ الحيوانُ في الصّيفِ
حولَ المَوْرِدِ ـ
هناكَ أيضاً سيتجمَّعُ البشَرْ.

هذَا النهرُ يُسمَّى إسْتِرْ،
إنَّه نهرٌ في الجمَالِ مُقيمٌ. أعمدةُ الأوراقِ
تتوهجُ وترْتعش. تَنتصبُ في الغَابة
وتَتساندُ؛ وفوْقَها،
تَبْرُزُ من حافةِ الصُّخورِ كُتلةٌ أخرى.
ولهذَا لسْتُ أستغربُ
أن يكونَ هذا النهرُ
قد اجْتذبَ هرْقَلَ ،
وهْو يَلتمعُ منْ بعيدٍ، في السَّفح جَنبَ أُولَمْپُوسْ،
بعْدَ أن غادرَ قيظَ إسْثْمُوسَ،
باحثاً عن ظلٍّ،
فمَع أنَّ الأرواحَ هناكَ كانتْ على شجاعةٍ عُظمى،
فإنَّها كانتْ أيضاً في حَاجةٍ إلى طقسٍ مُنعشْ.

لذلكَ آثرَ البَطلُ أنْ يُسافرَ
إلَى هذه اليَنابيع وهَذه الضّفافِ الصّفْراءِ
المتضوّعَةِ عطْراً، هذه الضفافِ التي تكْسُوها
بالسّواد أشْجَارُ التّنُّوب، وإلى هذه الودْيانِ
التي يُحبّ الصيّادونَ أن يَشْرُدُوا فيهَا
في الظهيرة، حينَ يكونُ بوُسْعك
أن تسمعَ نُموَّ أشجارِ الصّمْغ في إسْتِرْ

هذَا النّهرِ الذي يبدُو لي
متدفّقاً نحوَ الخلفِ
أُرجِّحُ أنَّـهُ
قادمٌ منَ الشَّرقْ.
عَنْ هذا يُمكنُ أن يقالَ الكثيرْ.
ولماذا يَظلُّ مُتشبّثاً بهذه
الجِبَال الشاهقةِ الانْحدار. الآخرُ،
الراين، كانَ يَتدفقُ مائلاً.
لأمرٍ ما تَجري الأنهارُ
عبرَ الأراضِي الجافَّةِ. لكنْ، كيفَ؟ كلُّ مَا نحتاجُهُ

علامةٌ، مجردُ علامةٍ، علامةٌ تُـذكِّـرُ
بالشّمْس والقَمَر، علامةٌ لا تَـنْقسمُ،
تَـمْضي في طريقها ليلاً ونهاراً،
ستشْعرُ الآلهةُ بعضُها بدفـءِ بعْضٍ.
ولهذا كانتِ الأنهارُ
بَـهْـجةَ القدير. أنَّى لهُ بدُونها
أن ينزل؟ والأنهارُ، مثل هرْثا[1] الـخضْرَاءِ،
أبناءُ السَّماء. لكنَّ هذا النهرَ
يُثيرني فيه إسرافُهُ في الهدوء،
يكادُ يكونُ طليقاً، يكادُ يكونُ مثيراً للضَّحك. فحينَ

يأتي يومٌ
يَبدأُ فيه نُـموُّه، يكونُ الآخرُ قدْ وصَلَ؛
يَسوقُ سناءَهُ عالياً، ويَقـضِمُ
كالمُهْرةِ الشَّكيمةَ، فَتسمعُ
الأنسامُ الصريرَ عن بُعْدٍ،
لكنَّ هذا يرقدُ راضياً.

---

1. Hertha، حسب تاكيتوس Tacitus، الوطن الأم لقدماء الجرمان.

على أنَّ الصخرَ في حاجةٍ إلى أن يُشَقَّ،
والأرضُ في حَاجةٍ إلى أنْ تُفْلَحَ،
لاَ إعمارَ إنْ لمْ يتباطأ؛
لكنْ لا أحدَ يدْري
مَا ينْوي أن يفعلَهُ النهرْ.

نَيْمُوزِيني*

الثّمارُ يانعةٌ، في النّار غُمسَتْ،
وعلَى الأرْض طُبختْ ثُمَّ ذِيقَتْ . ثَمَّةَ قانونٌ
يقْتضي أنْ تَزحفَ الأشياءُ كما تَزْحفُ الحَيَّاتُ،
أن تَزحفَ مُتَنبّئَةً، حالمةً على تِلالِ الجنانْ.
وثَمَّةَ الكثيرُ مِمَّا يَجبُ أن يُستبقى،
كما يُستبْقَى على الكتفيْنِ حِمْلٌ من الحطَبْ.
لَكنَّ المسَالكَ خطيرةٌ.
العناصرُ المَأْسورةُ وقوانينُ الأرضِ العتيقةُ
تَجْمحُ كالخُيولِ فَتَجْنَحُ عن الطريق. ثَمَّةَ تَشَوُّقٌ
دائمٌ إلى كلِّ ما هُو مُنطلقٌ . لكنَّ الكثيرَ يَنْبغي
أن يُستبقَى. وَالولاءُ مَطْلوبُ .
عَليْنا ألّا نَنْظرَ إلَى الأمام أوْ إلَى الخلْف.
يَنبغي أن نَسْمحَ لأنْفُسِنا بأن تُوضعَ في المهْدِ
فَنُحِسَّ كأنَّنا على قارَبٍ يَترنَّحُ فوق بُحيرة.

---

*. Mnemosyne

لَكنْ ماذَا عن الأشياءِ التي نَعشقُها؟
إنَّنا نَرى الشَّمسَ تُشرقُ على الأرْض، ونَرى الغُبارَ جافّاً،
ونَرى الغَاباتِ في بَلْدتِنا داكنةً تَكْتَنِفُها الظِّلالُ،
والدُّخانَ يَنبعثُ مُزهِراً من السُّطوح،
يَتعالَى ساكناً قُربَ القِلاعِ المُتَوَّجَةِ.
طَيِّبَةٌ هذهِ التَّجلِّياتُ، تَجلِّيَاتُ الحياةِ اليوميّةِ،
حتَّى حينَ يُؤْذِي الرُّوحَ
شَيءٌ سَماويّ.
فَالثَّلجُ في جِبَال الألْب يَتلألأُ علَى المرُوجْ،
علَى هذه المرُوج التي تَكادُ تُغطِّيها خُضرةٌ
تُوحي أبداً بكَرَمِ الرّوح. هُنا يتلألأ الثلجُ كزهُور أيَّار ـ
المتجولُ الشّاردُ علَى المرتفَع هُناكَ يَسيرُ في طريقٍ عالية،
ويَتَحدَّثُ مُهْتاجاً إلى صديق، يُحدِّثُهُ عن صَليبٍ
رآهُ من بعيدٍ، رآهُ مَنصوباً لأجْلِ شَخْص
قَضَى وهْوَ علَى الطَّريقِ... ماذا يَعْني ذلكَ الصَّليبْ؟

العزيزُ آخيلُ
ماتَ قُربَ شجرةِ التِّينْ،

أمَّا أياكْسُ فَيَرْقُدُ في كُهُوفِ البَحْرِ
قَريباً منْ ينابيعِ سكْمَاندروس -
أياكْسُ العظيمُ ماتَ في الغُربة، بَعيداً عنِ الوطنِ،
ماتَ مَشمُولاً بالرّياح الهادرةِ، رياحِ
سَلاميس - لَكنَّ باتركلُوسَ
ماتَ في دِرْعِ المَلْكْ.
وكذلكَ ماتَ كثيرونَ غيرهُمْ.
لَكنَّ إلوذوري، مَدينةَ
نيموزيني، كانتْ في مَا مضَى
قائمةً على قِمَّةِ كيذرون. وكانتْ في المسَاء
تُرسِلُ شَعَرَها، بَعدَ أن يَخْلعَ
الإلَـهُ عَباءتَـهُ.
فالآلِهةُ تَكونُ مُسْتاءةً
إن لَمْ يُبْدِ الشَّخصُ رَباطةَ جَأْشٍ
يُنْقِذُ بها نَفْسَهُ.
فَعلى المرءِ أن لا يَبْدُوَ جَزوعاً،
حتَّى لاَ يَظَلَّ الحُزنُ فيهِ يُقيمْ.

[كمَا تشْرُد الطّيُورْ]

كَما تَشْردُ الطيورُ، يُوجِّهُ نظْرتَه إلَى الأَمامْ،
إنَّه الأميرُ، يُحسّ كلَّ لقاءِ نسمةً
تُنعشُ صدْرَه، حينَ يُخيّم الصوْتُ حوْلهُ،
وهْوَ في أعَالي الفَضَاءْ،
لكنَّ أمْلاكَه الفَسيحةَ تمتدّ ساطعةً
تَحْتَه، والصغارُ بجانبِه
يتلهّفُون علَى أولَى غَنائمهمْ،
وبخفْقَة منْ جناحِه
يُعيدهُمْ إلَى الإيقَاعْ.

[مثْلَ سَواحل البَحْر]

مثلَ سَواحلِ البحْر، حينَ تَبدأُ
الآلِهةُ البنَاءَ، والسَّناءُ
يَدنو مُبحراً فَوقَ السَّنا ،
أنجزتْ هذا أمواجٌ لا تُحصَى، وها هيَ الأرضُ،
في تَمام زِينتها، تَستقبلُ رَسولَ إلَهِ البهجةِ
الذي يَفرضُ التَّناغُمَ على كُلِّ الأشياء،
هكذا يُلهمُ إلِهُ الخَمرِ الغِنَاءَ، يُلْهمُهُ نُبوءةً،
ويَطرحُ حبيبُ
الإغْريقِ
سَليلَةَ البحْرِ الحسْناءَ،
يَطرحُها عندَ الشَّاطِئِ كَنْزاً.

[حينَ يَخْرُج نُسْغُ الكَرْمَة]

حينَ يخرجُ نُسغُ الكَرْمَةِ،
هذه النَّبْتةِ الرَديعة، ويَبحثُ عن الظِّل
وينْمُو العنبُ تَحتَ قَبْوِ
الأوْراقِ البارد ،
يَجدُه الرِّجالُ مَصْدرَ قُوّة،
وتُحِسُّ الصَّبايا والنَّحْلاتُ
عِطرَهُ
حينَ تُثيرُهنَّ ـ إذْ يُسْكِرُهنَّ
شَذَى الرَّبيع ـ رُوحُ الشَّمس،
فَيَشْرُدْنَ في مُطاردَتِها، لَكنْ حينَ
يَسْفَعُهنَّ من أشِعَّتِها شُعاعٌ، يَتراجَعْنَ
صَاخباتٍ، مُتْرَعاتٍ بالْهَواجسِ
وفَوْقَهُنَّ
تَصْدَحُ السِّنْديانَةُ بالْحَفيفْ.

[أتظُنّ أنَّ ...]

أتظنُّ أنَّ

الأمورَ ستمْضِي
كما مضَتْ منْ قبلُ؟ أرادُوا أن يُنشئُوا
مملكةً للفنُون . لكنَّهم، وهُم يُنشئونَها،
أهْملُوا ما كان أصليّاً
لديْهم، فانْهَارتْ بلادُ الإغْريق، وكانتْ
أجْملَ البُلدان، انهياراً يدعُو إلى الإشْفَاقْ .
الوضعُ يقيناً
يختلفُ الآنَ.
فالأتقياءُ ينبغي فعْلاً أنْ . . .

وسيكونُ كلُّ يومٍ

عِيداً .

المعلِّمُ المحترمُ

لاَ ينْبغي إذنْ أنْ . . .

وكما تُعيق ماساتٌ

نَقشَتْها في النّوافذِ

أصَابعي العاطلةْ

كذلك كان الدَّيْرُ

لي مُعيناً.

النّسْـر

كان أبي يَحُومُ حوْلَ جُوتْهَارْدْ
حيثُ الأنهارُ تَغوصُ
جَانحةً نحْو إتروزْيَا
وتتدفَّقُ دونَ انقطاعٍ
فوقَ الثَّلجِ
نَحو أُوليمپوسَ وهايمْوسَ
حيثُ يطرحُ آثوسُ الظلالَ على
المغَاراتِ في لِمْنُوسُ.
لكنْ، في البداية،
صعَد أبوَايَ
منْ غاباتِ
إنْدوسَ الضَّوَّاعةْ.
وحلَّق فوقَ البحْرِ
أسلافُنا الأوائلُ،
ثاقبةً كانتْ أفكارُهم،
وتَعجَّبَ رأسُ الملكِ الذهبيُّ

من سِـرِّ المياهِ
إذْ أرسلتِ الغُيومُ الحمراءُ
بُـخاراً فوقَ السّفينةِ وتبادلتِ
الحيواناتُ نظراتٍ بليدةً،
وهْي تُـفكّرُ في الطّعام،
لكنَّ الجبالَ كانتْ ساكنةً،
أينَ نُـعَشِّشُ؟
أيِّـلُ
الصخرِ يقترنُ بالمرْعَى،
والجَفافُ يقترنُ بالشَّرابْ.
لكنَّ الأطْعمةَ الصّلبَةَ تقْتضي شَراباً يهضمُها.
إنْ شئتَ أن تستقرَّ،
فلْتستقرَّ بجَانب الدَّرَجِ،
وحيثُ يُشرفُ على النهر
كوخٌ، اقْضِ أيَّامَك.
ما تَـملكُـه هو
أنْ تتنفّسَ.
مَا تُثيرهُ في النَّهارِ،

اكْتشفْهُ ثانيةً
في النَّومْ.
حيثُ العُيونُ معصُوبةٌ
والأقدامُ مغْلُولةٌ،
ستجدُه هُناكْ.

تينْيَان *

مُـمْـتـعٌ أنْ تَـشـرُدِي
عبْر القفَار المقدّسَة،

أيتُها الروحُ الطيبةُ، وعنْد حَـلَـمـاتِ الذّئْبـة،
مياهٌ تَـتـلـوَّى
عبْر بلادي
مُتّجهةً نحْوِي،

هائجةً في مَا مضَى
لكنَّها الآن أَلِـفـتْ أن تُحضَنَ كما يَأْلفُ ذلكَ اليتامَى
في الرّبيع، حين تعودُ
الأجْنحةُ الغريبةُ إلى عُمق الغَاباتِ الدّافئ
فتجدُ الراحةَ في العُزلة،
وَوَسْـطَ الصَّـفصافِ
الـعـاطرِ

---

*. Tinian جزيرة في جنوب المحيط الهادي.

يَجتمعُ النَّحلُ

بالفَراشات،

وجِـبالُك، جبالُ الألْب التي

فَصَلَها الربُّ،

جُزءٌ من العالَم،

معَ أنَّها تتعالَى

مُدجَّجةً،

وأنْ تتجَوّلَ بمشيئَتكِ، أبدياً

فالآلهةُ

التي تتألقُ نَحْونا كالصّقُور،

قدْ حكَمتْ،

بأنَّ حِلْيةً كهذه ستكونُ وَحْمَةً على أجْسَادنا،

كما علَى أجْسادِ سَائقي العَرباتِ أوْ مُصارِعِي الأسُود،
لِتُثبتَ أُبـوَّةَ هذَا الطّفلِ الـمُسمَّى بالغَرْبْ؛

ثمة زهورٌ
لا تُنجِبُها الأرضُ، زهورٌ تنشأُ
بمحْض إرَادتِها عن تُربةٍ رخْوةٍ،
ظِـلُّ النّهار، ليْسَ منَ اللائقِ
قَطفُ هذه الورود،
فهي تَنتصبُ ذهبيةً،
فِـطْريـةً،
دونَ أوْرَاقٍ،
مثلَ الـخَواطرْ.

[لكنْ حينَ يَفْرَغُ الآلهَة ...]

لَكنْ حينَ تَفرغُ الآلِهةُ
منَ البنَاء، يُخيِّمُ الصَّمتُ على
الأرضْ، وتَنْتصبُ الجبَالُ
بأشْكالٍ أنيقة، مَلامِحُها
مُتْقنَة . فَعنْدما نافَسَ
المُرْعِدُ ابْنتَه،
صَعَقَهُما شُعاعُ
الرّبّ المُرْتعشُ،
ويَتَنزَّلُ العِطْرُ
بخُفُوتِ الضَّوضَاءْ.
حيثُ يَكْمنُ يالبَاطن، يُلطِّفُ، هنا
وهناك النارَ.
فالمُرْعِدُ يُمطِرُ
البهجةَ ويَكادُ
في غَضَبهِ

أنْ يَنْسى السَّماءَ ، لَوْلاَ
الـحِكمةُ التي أنْذرتْه.
لَكنْ حتّى الأماكنُ الفقيرةُ
تُزْهِرُ الآنْ.
وَسَتَنهضُ
جَليلةً .
جَبلٌ يُشْرِفُ على بُحيْرة،
دَافئةٍ عَميقةٍ لَكنَّ النَّسائمَ تُنعشُ
الـجُزرَ وأشْباهَ الـجُزر،
الـمَغاراتُ هناكَ لِلصَّلاة،

دِرْعٌ مُتلألئٌ
ورشيقْ، كالورُود

أوْ يَبْتدعُ
أساليبَ أُخرى،
لَكنَّ تَبرعُمَ
الأعْشابِ

الضَّارّةِ الـحَاقدة، الـخَادعة حينَ تَنْمو
سَريعةً فَتصيرُ فِـضَّـةً،
فَلِلْخالِـق حِيَـلٌ
لا تُفهَم . تَتَشَبَّثُ
وتَـمتدُّ في عُنْفٍ مُفـرط. وكالنَّارِ
تُـحْرقُ البيوت، تَنْدَفِعُ،
بـلاَ رَأْفَـة، لاَ يَـنْـجُـو مِنْـها
مكانٌ، تَـغـمرُ الدُّروبَ ،
تَـغْلْي في كُـلِّ مَكان، غَيْـمةٌ تنْطوي علَى نارٍ
قَـفْرٌ لَيستْ له نهايـة.
تَسْعَى إلى أن تُضلِّلَ فَـتُـحْسَبَ تَـجلِّياً
إلَـهياً. لَكنَّ الضَّـلالَ أعْمَى يَتـخَبَّطُ
عبْر الـحَديقة، رَهيباً،
غيرَ مِضْياف، فلاَ رَجُـلَ
نَـظيفَ اليديْـنِ
يَستطيعُ أن يَـجدَ مَنْفَـذاً. يَـتقـدَّمُ
مَسُوقاً كالدَّابَّـة بَـحْثـاً عنْ
الـمُؤَنِ. مع أنَّ المرءَ، بسـلاحِـهِ

وهَواجسه، قَدْ يَبلُغُ
الـهَدفَ. فحيثُما
تَفرضُ الآلهةُ الحواجزَ والعَلاماتِ
لِتدُلَّ على دُروبها،
أوْ تَحتاجُ برْكةً تَغتسلُ فيها،
تَخفِقُ كالنَّارِ
قُلوبُ البَشرْ.

لكنَّ الأبَ كان معَهُ آخرونَ
بجَانبه.
فَفوْقَ جبَالِ الألْب
حيثُ يَنبغي علَى الشُّعَراء
أنْ يَعْتمدوا علَى النَّسْرِ. لِكيْ لا يَكونَ
لِتأويلاتِهم الغاضبةِ معْنًى خاصٌ بهمْ،
وَلأنَّهم يُقيمون فوقَ مَجالِ
تَحليقِ الطُّيور، حولَ عَرْشِ
إلَهِ البهْجة
الذي يُخْفونَ عنْهُ

الـهـاويـةَ، فإنَّ هؤلاءِ الـنَّـبـويِّـيـنَ،
في عُـصُـورِ الـتَّـمـزُّق،
يَسْتقرّونَ، كالنَّارِ الصَّـفـراء،
بعيداً عن أنظار البشر، يَغْـبـطُـهمْ أولئكَ
الذين يَعشقونَ الرّهْبَة: أشباحُ الجحيمْ،

لَـكـنَّـهم كانُـوا مَسُوقين،
قَـدَرٌ خـالـصٌ
يَـنفـتِـحُ مِـنَ
الألْـواح المقدَّسة، ألْـواحِ الأرْضِ
هرقلُ المُطـهَّـرُ
الذي ظَـلَّ إلى الآنَ
معَ الإلَـه طاهراً، وتَـوْأمَـا زيّوسَ
يَـصعدانِ ويَـنْزلانِ
سَـلالِمَ لا سَـبيلَ إلى بُلوغِها
بيْنما تَـتـراجعُ الجبالُ عن الـحِـصْـنِ الإلَـهيّ
في اللّيل، وَوَلَّـى
عَصرُ فيثاغُورْسْ

فيلوكتيتيس يُقيمُ في الذَّاكرة.

مَضَوْا لِيَلْتَمِسُوا عَوْنَ الأب
لأنَّهم يَرغبونَ في الرَّاحة. لَكنَّ
أفْعَالَ الأرْضِ العَقيمةَ تَستفِزُّهُمْ
وَتَسْلُبُ الآلِهةَ
الحَواسَّ
آنَئذٍ يُقْبِلُونَ
ويُحرِقُونَ هؤلاءِ الأمْواتَ

فالآلِهةُ
تُبغِضُ
النُّمُوَّ قَبْلَ الأوَان.

[علَى الوَرَقَة الشّاحبَة]

علَى الوَرقةِ الشَّاحِبَةِ يَسْتَقِرُّ
العِنَبُ ـ أملُ الخمر ـ كما يَسْتَقِرُّ
علَى الخَدِّ الذَّهبُ المُدلَّى
مِن أُذْنِ هذه الفَتاةِ الغَضَّةْ.

وَعليَّ أنَا أنْ أظَلَّ عَازِباً،
لَكنَّ مَآلَ العِجْل
أن يَتَخبَّطَ في الْقَيْدِ
الذي يُكْسِرُه .

كَادحٌ

لَكنَّ نَاثِرَ البُذُورِ
يُحِبُّ أنْ يَرى امْرأةً
تَغْفُو أثْناءَ النَّهارِ
وهْيَ تَنْسِجُ

اللِّسانُ الألْمَانيُّ
لَنْ يُعجِبَ الأُذُنَ
لَكنَّ القُبَلَ تُحدثُ على
اللِّحْيةِ الشَّائِكَةِ أصْواتاً عذْبَةْ .

المغَنّي الأعْمَى

Ελυσεν αινον αγος απ' ομματων Αρης [1]

سوفوكليس

أينَ أنتَ أيّها البَشيرُ الفَتِيُّ الذي كانَ دائماً
عنْد الفجْر يُوقظني، أينَ أنتَ، أيّها النورْ؟
القلبُ صَاح لكنَّ الليلَ الآنَ يعتقلُني
دوْماً وبالسّحَرِ المُقدَّس يُقيِّدُني

كنتُ في مَا مضَى أُصْغي إلَى الفجْر، سَعيداً بأن أنتظرَكَ
علَى جانب تَلِّكَ، وما خابَ قَطُّ انْتظاري !
ولَمْ تَخذُلْني أبداً رُسلُكَ، النسائمُ،
فقد كنتَ دائماً، أيها العزيزْ،

تُقْبلُ وتُبهِجُ بعذوبتك كلَّ شيْءٍ، كنتَ دائماً
تَهبطُ الدربَ المألوف، أين أنت، أيها النور؟
ها هُوَ القلبُ يَصحُو ثانيةً، لكنَّ الليلَ الأبديَّ
الآنَ يَعصرُني، يُغلِّلُني.

---

1. من إياكس لسوفوكليس. والمعنى: «إيريس أخذ الويل من عيوننا».

فالْعَرائشُ كانتْ، حين تَخضرُّ، تُومُئ إليَّ، والأزاهيرُ
كانتْ تُشرقُ لأجْلي، تَمِضُ كانتْ كما تُومضُ عيناي؛
وغيرَ بعيد عنِّي كانتْ وجُوه الأحبّة
وكانتْ تَلمعُ لأجلي، عالياً فوْقِي

وحَوْلَ الغَاباتِ كنتُ أرَى أجْنحةَ السّماء وهْيَ تُواصلُ
رحْلتَها ـ كان ذلكَ في أيّامِ الشَّباب ؛
والآنَ أجلسُ وحيداً هُنَا في هذَا الصّمْتِ،
وتمضي الساعةُ تلْوَ السّاعةِ وذهني يَبتدعُ

لنْفسِه أشكالاً منَ المَسرَّةِ والسُّلْوان، يُنشئُها
منْ حُبٍّ وحُزن يتذكرهُما منْ أيّام أصْفَى،
وأُمعنُ أنا في إرْهاق سَمْعي
علَّ مُخلِّصاً رحيماً يُقبلُ

وغالباً ما كنتُ أسمْعُ صوْتَ المُرعدِ العظيمْ،
حينَ كانَ النُّحاسيُّ، في الظهيرة، يَدْنُو،
حينَ تَرْتَجُّ دارُه، وتَهدِرُ منْ تحته
الأُسسُ فَيُرَدِّدُ التَّلُ الهَديرْ.

كنتُ أسْمعُ المُنْقذَ في اللّيل، أسْمعُه، وهْوَ المحرِّرُ،
يَقتلُ ويَهَبُ الحياةَ من جديدْ،
منَ الشّرق إلى الغرْب أسمعُ المُرعِدَ يَجرفُ
بعُنفٍ مَا في الطّريق، وأنتِ إنّما تُردّدين صدَاهْ،

يَا أوْتارِي! مَعهُ، معَهُ يحْيا قصيدي،
وكَما يَتبعُ الجَدْولُ مَجْرى النّهْر،
أنجرفُ أنا إلَى حيثُ تَمضي خواطرُه، مُجبَراً
علَى أنْ أتْبعَ الواثقَ عبر مَدَارات مُلتويةْ .

إلَى أيْن؟ أسمعُكَ تارةً هُنا وطوْراً هُناكْ،
يا أيّها المجيدْ ! صوتُكَ يُسمَعُ في جميع الأرْجَاءْ.
أينَ مآلُكَ؟ وما هذَا، ما هذَا الذي يكْمُن
هناك فوْقَ الغيُوم، وماذَا دهاني؟

أيّها النّهارُ، النهارُ، يا مَنْ تَمتطي الغُيومَ المُترنِّحةَ،
بعوْدتكَ أنتَ أرحِّبْ ! عينايَ لأجلكَ تُزهران.
أيَا نورَ الشّباب ! يا فرحةً لم ينلْ منها
الزمانْ ! لكنَّكَ الآنَ أكثر روحانيةً تتدفّق منَ

القَدَحِ المقدّسِ، مَنبعِكَ الصّافي المذهَّبِ ! وأنتِ،
أنتِ أيتها الأرضُ الخضراءُ، يا مهْدَ السّكينة، وأنتَ
يا مَنزلَ الأسْلاف، وأنتُمْ يا كلَّ الأحبة الذّينَ
قابلتُهمْ في مَا مضَى، اقْتربُوا، آه تَجمَّعُوا،

تعالَوْا، آهِ، كيْ تكونَ الفرْحةُ فرحتَكُم، عودُوا
الآنَ جميعاً وتَلقَّوْا بَرَكةَ الرجُل البصيرْ!
آهِ خذُوا هذه الحياةَ، كيْ أتَحمَّلَها، خُذُوا
هذه الحياةَ الإلهية، منْ قلْبي المثقلْ.

دُمُـوع

أَيُّها الـعِشقُ السَّماويُّ، يا أَيُّها الـعَطُوف!
لَـوْ أنساك، لَـوْ أَنساكُـنَّ أَيَّتها الفواجعُ،
أيتها الـمُتَّقـدَاتُ الـمُتَّقـداتُ الـمَليئةُ رماداً،
يا منْ كُـنتُـنَّ مَهْجورَاتٍ مُنْعـزلاَتْ،

أيتُها الـجُزرُ الـحَبيبةُ، يا عُيونَ عالَمِ العَجائبْ!
ها أَنْتُنَّ قـدْ غَـدوْتُـنَّ هَـمّي الوحيد،
وَشُطْآنُكُنَّ حيثُ يَتَـوَثَّـنُ العُشّاق،
حيثُ يُكَـفِّرُ العِشقُ عنْ آثـامِه تائِباً للإلَه وحْدَهْ.

فهناكَ كانَ المقدَّسُونَ والأبْطـالُ الغاضبُونْ،
في عَـصْرِ الـجَمـالِ، يَـخْدمونَ بامْتنَان،
وكانت الأَشْجارُ الكثيرةُ وكانت الْـمُـدنُ
قائِـمـةً في ذلكَ المكَان، وكانتْ هُنالِكَ
ظَـاهرةً للعيَان، شَـبيهـةً برجَال مُتـأمِّـلِـينْ؛

الآنَ ماتَ الأبْطالُ، جَزائرُ العِشقِ
تَكادُ تَكونُ مُشَوَّهَةً. كَذلِكَ يَنبغي
أن يُخدَعَ العِشقُ السَّاذَجُ ويُستَغلّ.

لَكنْ، أيتُها الدَّمْعاتُ النَّاعِماتُ، لا تُطْفِئنَ نورَ
عيْني ؛ واترُكْنَ لي، اترُكْنَ لي ذِكْرى واحدةً لأموتَ
نَبيلاً، أيتُها الدَّمْعاتُ السَّارقاتُ الخَادعَاتُ، اترُكْنَ،
اترُكْنَ لي ذِكْرىً واحدةً تَظَلُّ حَيَّةً بعدَ أنْ أمُوتْ.

الوطَن (1803)

وَلا أحدَ يَعْلَم . . .

فَلأَسِرْ على دُرُوبكِ
ولأَقْطِفْ ثِمارَ العلّيق البريّ
كَيْ أُرْويَ غُلَّةَ عِشْقي لَكِ،
أيَّتُها الأرْض.

هُنا حيثُ . . .
. . . وَأشْواكُ الوُرودْ
وأشجارُ الزيزفون الجميلة
قُربَ أشْجارِ الزَّانِ تَبُثُّ في الظّهيرة عطْرهَا
حين يُسمَعُ هَمسُ النباتاتِ إذْ تُمعنُ
في النُّموِّ جَنبَ السِّيقانِ المسْتقيمَةِ
في حَقْلِ القمح الأصْفرِ الشَّاحب
وتَميلُ السُّنبلةُ بعُنقِها كالْخريف،
لَكنْ، تَحتَ قَبْوِ أشجارِ البلُّوطِ حيثُ أتَأمَّلُ الآنَ

وَأُسائِلُ السَّماءَ، يَتَرَدَّدُ على البُعدِ رَنينُ الجَرسِ المَألوفِ لَديَّ . أسْمعُ رَنينَهُ الذَّهبي في هذه السّاعةِ التي يُفيقُ فيها العُصفورُ ثانيةً ، فيَحْسُنُ كُلُّ شيْءْ.

مُنتصَفُ العُمْر

مُثْقَلةً بيَانِعِ الثِّمَارْ،
وبالْوُرودِ الْبَرِّية،
تَتَدلَّى الأَرْضُ نَحْوَ البُحيرةْ.
أيتُها البَجَعاتُ الرَّشيقةُ،
يا مَنْ أَسْكَرَتْكُنَّ القُبلاتُ،
ها أَنْتُنَّ تَغْمِسْنَ رُؤوسَكُنَّ في
صفَاء الماءِ المقدّسْ!

أيْنَ أجِدُ الزُّهُورَ حينَ يُقْبلُ الشِّتاءْ؟
هَيْهاتَ! أيْنَ أجِدُ الضّياءْ،
ضياءَ الشَّمس على
الأرْض، وأيْنَ أجِدُ الظِّلالْ؟
تَظَلُّ الجُدْرانُ خَرساءَ باردةً
وَيَظَلُّ دِيكُ الرّياح*
يُطَقْطِقُ في العَراءْ.

---

* . أداة على شكل ديك تستعمل لتحديد اتجاه الريح.

الملجَأُ في هَارْتْ

الغابةُ تَـغـرَقُ
والأوْراقُ نحْوَ الدّاخل تَتدلّى
مثَل بَـراعـمَ يتفتّحُ لهَا
سَفحُ الوادي أزهاراً
في القَرار، ليسَتْ صامتةً،
لأن أورليشَ مَــرَّ
بهذه الجهَات؛ قَـدَرٌ هائلٌ
غالباً ما يتأملُ آثارَ قدميْه،
مُتربصاً، وسْط البقايَا.

عُصُور

يا مُـدنَ الفُراتِ،
يا شَوارعَ پـالميرَا،
وَيَا أعمدةً تُشـجِّرُ السّهلَ المقْفرَ،
ما أنتِ؟
جُـرِّدْتِ منْ تيجَانِكِ،
وعبْرتِ إلى مَا بعدَ
حدودِ النَّفَسِ،
قُـربَ دُخانِ
الآلهةِ ونيرانِهَا ؛
لكنَّي الآنَ أجلسُ تحتَ غُيوم
يَـجدُ السكينةَ فيها كلُّ مخلوقْ ،
تحتَ صَـفٍّ جميلٍ منَ السّنديَانْ ،
قُـربَ مَرجِ الوُعول،
وأرى أرْواحَ الـمُـنـعَّـميـنَ
هالكةً غريبةْ .

الجدْوَلُ الكَتُوم

بـمَ تَحلمُ وأنتَ نائمٌ، يا مَنْ تَـلُـفُّـهُ الفُـتـوّةُ،
وتَـحُـفُّ به الضِّفافُ الباردةُ، أيّها الصَّابرْ!
وهَلْ أنتَ عن نَـبعِـكَ غافلٌ،
يَا سَليلَ الـمُحيطاتِ، وصديقَ الـجَبَّارْ؟

تلكَ الـمُبـارَكـةُ التي بَعثَـها الأبْ،
ألسْتَ تَعرفُ شيئا عن الهواء، وَاهِـب الحياة؟
ألسْتَ تُبالي بالكلمةِ يُرسِلُها إليكَ الرَّبُّ اليقظُ أبداً،
يُرسِـلُـهـا إليكَ سَاطعةً من الأعالي ؟

يَتَـرَدَّدُ خَـريرُه دوْماً، في الصَّدرِ دوْماً يَتردَّدُ، يَـتدفَّـقُ
كأنَّـهُ، حينَ كانَ لا يَزالُ في حِـجْـرِ الصَّخرِ نائِماً،
يُـواصِلُ التَّدفُّقَ، وهَا هُو الآنَ يُـدرِكُ قُـوَّتَه، جبروتَهُ.
الآنَ، الآنَ يُـسْرِعُ الـمُتـذَبْذِبُ،

الآنَ يَـهْـزأُ بالأغْلاَل، الآنَ يَتناولُ، عابثاً،
غَـيْظَهُ، يُكسِّرُه، يُلْـقيه أرضاً فَيُبعثِرُه هُنا
وهُناكَ على الشَّاطئِ الـمُرَدِّدِ الصَّدى.
وإذْ يَـنتبـهُ لِلـنِّـداءْ،

يُوقِظُ ابنُ الرَّبّ هذه الجبالَ الـمُجاورةَ،
يُثيرُ الغَابات، يَسمعُ الخليجَ،
خليجَ الرَّسُولِ البَعيد، وإذْ يَرتَعشُ
مُبتهجاً، يُوقِظُ ثانيةً صَـدْرَ الأرْضْ.

يُقبلُ الرَّبيع ؛ تَبْزُغُ الـخُضـرةُ الجديدة ؛
ويَشْـرُدُ هُوَ الآنَ بين البَشر الفَانينْ؛
فهْوَ لنْ يَستطيعَ أن يَـمْـكُـث في أيِّ مكانْ،
وهَا هُوَ يُرفَعُ فَيَسْتَقِرُّ بينَ ذِراعَيِ الأبْ.

من قصائد الجنون

سيبيل *

العاصفةُ

لكنَّهمْ يَقذفونَ اللّعناتِ
يَهزُّونَ الشّجرةَ بعُنفٍ حتّى الأطفالُ الحمْقَى
يَقذِفونَ الحجارةَ

الغُصنُ يَنْثَني
والغُرابُ يُغنّي
طقسُ الرَّبِّ يَعْبرُ

لكنَّكِ، أيّتها الأغنيةُ المقدّسَةْ.

وأنتَ أيّها البَحّارُ المسْكينُ الذي يبحثُ عن المألُوفِ

انْظُرْ إلَى النجُومْ.

---

*. Sibyl .

الشّجَرة

غَرَسْتُكِ وأنا طفلٌ هَلِعٌ
أيتُها النَّبتةُ الجميلةُ ! لَكَمْ تَغيَّر الآنَ كلُّ واحدٍ منَّا في عيْنِ
الآخرِ مُشرقةً تَنْتَصِبينَ هُناك
مثلَ طفْلَةْ .

الكَـلاَم

لَـكنّ الكلامَ ـ
عَواصفُ الرَّعْـدِ كَلامُ
الرَّبّ.
غالباً مَا   الكلامُ
قال: الغضبُ كافٍ ويَليقُ بأپّولُو ـ
إنْ يَكُـنْ لديْكَ من الـحُبّ ما يكْفي، فَدَعْ غَضبَك يتعالَى
منَ الحُبّ، غالباً ما حَاولتُ الغناءَ، لكنَّهم لَمْ يَسْمعُوكْ .
كانَ هذا ما تَـمنَّتـهُ الطَّبيعةُ المقدَّسةُ .
أنـشَـدْتَهم في شَبَابكَ
لَمْ تَكنْ مُـنشِـداً
أنتَ كلّمتَ الإلَـهْ،
لَكنَّـك نَسيتَ تماماً أنَّ الثِّمارَ البواكيرَ
ليستْ للفانينَ، بلْ للآلـهـةْ .
ينْبغي أن تَكُونَ الثَّمرةُ مأْلوفَةً،
مثلَ الأُمورِ اليوميّةِ،
قبلَ أن تَـكونَ للفانِينْ .

[وأَنْ تُحسّ ...]

وأن تُحِسَّ ما يُحِسُّ بهِ
أنصافُ الآلهةِ ويُحِسُّ به آباءُ الكَنيسةِ،
وَهُمْ جالسُونَ في المحَاكمة. لكنَّهم ليسُوا نزيهيَن أمامَ كلِّ
الأشياءِ الـمُحيطةِ بهمْ، فالحياةُ تُدَنْدِنُ فيها الحرارةُ وصدَى
الظِّلالِ كأنَّها في بُؤرةٍ رُكِّزتْ. صحراءُ ذهبيةٌ.
كأنَّ اللّيلَ يَقْدَحُ، مثلَ صوانٍ فُولاذيّ مَصُونٍ يُشْعلُ موْقداً
دافئاً دفْءَ الـحَياةِ، يقدح حَجرَ النَّهار الصَّقيل فتنبعثُ منهُ
الشَّراراتُ، والقيثارةُ تعزَفُ عندَ الغَسق. تَئِزُّ طلقاتُ
الصيَّادينَ إذْ تَرتَطِمُ بالبحْرِ. لَكنَّ الـمِصْريةَ تَجلسُ،
عاريةَ النَّهديْنِ، وتُواصِلُ الغِناءَ، في الغابةِ قُرْبَ النَّار،
وقدْ أصابَ الكَدُّ مَفاصلَها بالـنِّـقْـرِسِ . يَندفعُ نَبعٌ
يَنـمُّ عن ارْتياح غُيوم وبحارِ هذَا الكوكب، يَندفعُ عبر
سْكُوتلاندَه كأنَّهُ يندفع نَحو بُحيراتِ لُومْبارْديَا. كذلك سَيُعربدُ
فِتيانٌ ألِفوا عيْشاً طريّاً كاللّؤلُؤ، سَيُعْربدُونَ حوْلَ أجْسادِ
مُعلِّميهْم، أوْ حَولَ الـجُثث، أوْ تَحومُ صيْحاتُ العَصافيرِ ناعمةً

حَولَ تِيـجان الأبْراجْ.

كَلاَّ ، الحقُّ أنَّ النَّهارَ
لا يَخْلُقُ
هيْئاتٍ بشريّةً. لَكنْ أوَّلاً ،
فكرةً عتيقةً، معْرفةً واسعةً
الفرْدَوْسْ.

والحبُّ الضائعُ
حبُّ مباراةِ الفُروسيّةِ   خُيولٌ، نَديّةٌ لَعُوبْ

[انْطلَقْنا منَ الهُوّة]

انْطلَقْنا منَ الهُوّة
وتقدّمْنا كالأسَدِ،
يتقاذفُهُ الشّكُّ،
لأنَّ إحْسَاسَ الرّجالِ يَحتدُّ
في لَهيبِ
الصّحَارَى،
يُسْكرُهمُ الضوْءُ، ويقيمُ معهُمْ
روحُ الحيَوان. لكنْ قريباً يزهُو صوْتي،
كأنَّه كلبٌ في طقْس حارٍّ، عبْر درُوبِ حدائقَ
في فرنْسَا
يَقطنُها الناسُ .
الخالقُ.
لكنَّ فْرانْكفُورتَ، بعبارةٍ تَسِمُ
هيئةَ الإنْسانِ
بوَسْم الطبيعة، سُرَّةُ هذه الأرضِ، وهذَا العصْرُ
عصرُ انْصهارِ الجرْمَانْ.

تَـلٌّ مُقفرٌ يُشرفُ على مُنحَدرِ
حَدائقي. أشجارُ الكَرزْ. نَفَسٌ حادٌّ
يُصفِّر عبْر ثُقوبِ الصّخور. أُحِسُّنِي هُنَا
كلَّ شيْءٍ في نفس الآن . شجرةُ جَوْزٍ
جميلةٌ تنثني رشيقةً
فوْقَ الينابيع وَ نَفْسها. توتٌ، كالمرجان،
يتدلّى منْ شُجيْراتٍ فوقَ قنواتٍ خشبيّة
ينبعثُ منْهَا، من الحَبِّ أوّلاً، والآنَ منَ الزّهَر،
غناءٌ مُعمَّقٌ كأنه زرعٌ منَ المدينة جديدٌ تكادُ الأُنوفُ
تَـأْلَمُ من الشَّذَى الصّاعدِ منْهُ
شذَى اللّيمُونِ والزّيْت المجْلوبِ منْ پْروڤانْسْ،
أَغدقَتْ هذَا العِرفانَ عليَّ أراضي جاسْكُوني .
رُوِّضتُ (والباقي آت) وأُطعمتُ
محبّةَ السّيفِ ولحومَ الأعْيادِ المشويةَ،
المائدةَ، الأعنابَ السمراءَ، سمْراءَ
فلْتجْمعيني آهِ ،
يَا زهورَ جرْمانْيا، آه صارَ قلْبي
بلَّوْراً، صار محَكّاً
للضوءِ حينَ جرْمانْيَا

بلادُ الإغْريق(I) *

طُرُقُ التَّائـه !

فَـظلالُ الأشجار ـ
حيثُ التلالُ المشْمسةُ
تَـمتـدُّ الطريقُ صاعدةً
نحْو الكنيسَة ـ
تُـمـطرُ وابلاً منْ سهَامْ،
والأشجارُ باسقةٌ، تُغالبُ الـنُّعـاسَ، لكنَّ
خُـطَى الشّمس قادمةٌ.
فكما تُـمعن الشمسُ
في التوهّج فوق بُـخارِ الـمُدنِ،
كذلك تسيرُ فوْقَ
ثَنايا جُدران المطَرْ

فمثْل اللّبْلابِ،
بدُون أغْصَانٍ، يتدلّى المطَرْ. لـكـنَّ

*. رقم العنوان يشير إلى ترتيب صيغة القصيدة.

الطّرقَ تبدو للمُسافرينَ في العَراء أبْهَى
تتفتّحُ زُهوراً تتمايلُ مثلَ السّنابلْ .
وأقِـينْيـون تَـكتنفُها الغَاباتُ تُشرِفُ علَى جُوتهَارْدْ .
الحصانُ يتلمّسُ طريقَه، ولأكاليلِ الغَارِ حَفيفٌ
حولَ مَثْوى فِرْجيل، لكيْ
تَسْتكشفَ الشمسُ القبْرَ
بشكْلٍ لا يخْلُو منْ رجُولة . وُرودُ الطّحالبِ
تنمُو
علَى جِبَال الألْب. الأزهارُ تَبدأُ في النموّ
أمامَ بوّابات المدينة، علَى طُرقٍ مُسْتويةٍ، وتُتـرَكُ
دونَ عنايةٍ لتنْموَ كما البلّورُ في قِفَار البحَارْ.
الحدائقُ تنمُو حوْلَ ويندزْر. ساميةً، ساميةً،
تُواصلُ عَربةُ المَلِكِ رحْلتَها
قادمةً من لُنْدن.
الحدائقُ الجميلةُ تُنْقذُ الموْسمَ .
عنْد القَنال. لكنْ في أعْماقِ الأعماقِ يَرقُدُ
المحيطُ مستوياً، مُومِضاً.

بَلادُ الإغْرِيقْ (II)

وأنتِ يَا أصْواتَ القَدر، أنتِ يا طُرُقَ التَّائـهْ
ففي السّماوَاتِ
يُدوِّي غضَبُ الغُيوم مُنتظماً مثلَ أُغنيةِ
الطَّائرِ الأسْودِ، يُلطِّفهُ وجودُ الرَّبّ، عاصفةُ الرّعدْ.
ويُنادي، إذْ يُطلُّ، الخُلودَ والأبطالَ ؛
الذِّكرياتُ كثيرةٌ، كثيرةْ .
وحَيثُ تَتَّبعُ الأرضُ القوانينَ العظمى،
إذْ تنطلق من معَالمِ الدّمَار، من غَوايَات القدّيسينْ،
تتغنّى بعْدَها أُغنيةُ الغُيوم، وقد غَدتْ مرئيةً،
تتغنّى بالوئَام وبالحَنَانْ
وتتغنّى بالسَّماءِ كلِّها. فالطبيعةُ
تَظلُّ أبداً حيَّةً. لكنْ حيثُ يَعْظُمُ
تَوْقُ المُطلَقِ إلى الفَنَاءِ،
إلَى الإلهيِّ، إلى إخْلاصِ الرَّبّ،
يَنْعَدِمُ الرُّشْدُ .

لكنْ كما يَحضرُ الرّقْصُ

في العُرْس

تُقبلُ بدايةٌ عظيمةٌ

حتّى علَى المخْلُوقاتِ الوَضيعَةْ.

لكنْ، لأجْل الإنْسَانْ،

يلبس الربُّ كلَّ يوم لبُوساً.

وجْههُ عن العرْفَانِ مَحْجوبٌ

وبمهَارتِه يُغطِّي الريّاحْ .

ويُغطي الفضاءُ ويُغطي الزمنُ

ذلكَ الرَّهيبَ، حينَ يُسْرِفُ امرؤٌ

في الصَّلاةِ تعْبيراً عنْ مَحبّته، وإلاَّ

فالرُّوحْ .

بلاَدُ الإغْريقْ(III)

وأنتِ يا أصْواتَ القدَر، أنتِ يا طُرُقَ التَّائـهين !
فمن بعيد، وسط الفضاء الأزرق البادي من المدْرسَة،
وسْطَ اصْطخاب السَّمَاءِ،
يُدوِّي غضَبُ الغُيومِ مُنتظماً مثلَ أُغنيـةِ
الطَّائرِ الأسْوَد، يُلطِّفه وجودُ الرَّبّ، عاصفةُ الرّعد.
ويُنادي، إذْ يُطلُّ، الـخُـلودَ والأبطالَ ؛
الذِّكرياتُ كثيرةٌ، كثيرةٌ. حيث تَـدقُّ الأرضُ
علَيْها، كأنها تَـضربُ جلْدَ عِجْلٍ مدبُوغ،
ففي البدْء تَشكَّـلَ العملُ،
وإذْ تنطلقُ من معَالم الدّمار، منْ غوايَات القدّيسينْ،
تَتَّبعُ الأرضُ القَوانينَ العظْمى، والمعرفةُ
والحنانُ ورحابةُ السّماء، محيطةً بكلِّ شيْءٍ،
تغدُو بعْدَ ذلك مرئيةً، و تُنشد غيوماً منْ غِنـاءْ.
فَـسُـرَّةُ الأرض ثابتةٌ، ثابتةْ .
والعناصرُ المألوفةُ وألسنةُ اللّهبْ

أسيرةُ ضفَافِ العُشْبِ.
لكنَّ الأثيَر، وكله انعكاسٌ، يقيمُ في الأعَالي. لكنَّ
الضوءَ فِضِّيٌّ
في أيَّام الصّفاء. والأرضُ تكْتَسي
الأزرقَ البنفْسجيِّ عربونَ المحبّةْ.
تُقبلُ بدايةٌ عظيمةٌ
حتّى علَى المخْلُوقاتِ الوضيعَة.
لكنْ، لأجْل الإنْسَان،
يلْبَسُ الربُّ كلَّ يوم لبُوساً.
وجْههُ عن العرْفَانِ مَحجوبٌ
وبمهارتِه يُغطِّي الرياحْ .
ويُغطي الفَضاءُ ويُغطي الزمنُ
ذلكَ الرَّهيبَ، لكي يُسْرِفُ
في الصَّلاةِ إنسانٌ تعبيراً عن محبّته.
وإلاَّ فالرُّوحُ . فقَدْ ولَّى زمنٌ طويلٌ
والطبيعةُ، مثلُ الأوْراقِ،
أوْ مثلُ الخطُوط والزّوايا، مفتوحةٌ،
والشموسُ والأقمارُ تزدادُ صُفْرةً،

لكنْ أحياناً
حين تتعرّضُ معَارفُ الأرْض القديمةُ
لخطَر الـخُمود، وسْطَ روَايات التّاريخ،
وصَليل المعَاركِ، يتدخّل الرّبُّ ليقودَ
الأرضَ علَى القمَم. علَى أنّه يحدّدُ السرعةَ
المفْرطَة أثناء المسير، لكنَّ مَلَكاتِ الرُّوح،
تتفتّح أزهاراً ذهبيّة، وتتآلفُ في انْسجَام
حتى تزْدادَ رغبةُ الجمَال في الإقامَة علىَ الأرضِ،
وتسْعَى هذه الرُوح أو تلكَ إلى الاقْترابِ
منْ شُؤون البَشَرْ.

عَذْبٌ آنئذ أن يُقيمَ المرءُ تحْتَ الظلِّ الأعْلَى،
ظلِّ الأشْجَار في التِّلال المشْمسَة، حيث الطريقُ
إلَى الكنيسَة مرصُوفةٌ . لكنَّ الطُّرقَ تتفتّحُ
زهوراً أبْهى أمامَ الـمُسَافر، أمامَ منْ تُطاوعُهُ
قدمَاه، لأنه يحبُّ الحياةَ، فتظلاّن مُحافظتيْن علَى الإيقَاع
طوالَ الطّريق، حيثُ الأرضْ

حَياةُ الإنْسَان

مَا حَياةُ الإنْسَان؟ صُورةٌ منَ الأُلوهيّةِ.
إليْها يَنظرُ الفَانُونَ وهُمْ تَحْتَ السَّماءِ
شاردُونَ. كأنَّهم يَقرؤُونَ كتاباً مقدَّساً.
يُقلِّدونَ الثَّرواتِ ويُقلِّدونَ الخُلودْ.
لَكنْ، أليْستِ السَّماءُ البسيطةُ ثَريَّةً؟
تَبدُو الغُيومُ الفِضيَّةُ حقّاً زُهوراً.
معَ أنَّها تَنِزُّ نَدًى وَضباباً.
لَكنْ حينَ تَنْمحي الزُّرقةُ، تَرى
السَّماءَ الشَّبيهةَ برُخَامٍ لمْ يُصْقلْ
بَرَّاقةً كمَعْدنٍ خامٍ يَشي بثَرواتٍ كامنةْ.

الـرّبُّ

مَا الـرَّبُّ؟ مَجْهولٌ، لَـكنَّ
وَجْـهَ السَّـمـاءِ مَليءٌ
بـملاَمِـحهِ. البرْقُ عَصَبُ الـرَّبّ.
كُـلَّما أَمْـعنَ هذَا
في الظُّهور،   كانَ بالْغريب لائِـقاً.
لَـكنَّ الرَّعْـدَ مَـجدُ الـرَّبّ. مَـحبَّةُ الـخُلودِ
ميزةٌ مُشتَرَكـةٌ بينَ الرَّبّ والبَشرْ.

أيامُ سُقْرَاط

الزمنُ كانَ هُو الربُّ مدَاناً.

مُلوكٌ.

حُكماءُ.
مَنْ يُدينُ الآن؟

هَل الشّعْبُ بأكْملهِ
هُو القَاضي؟ التجمّعُ المقدّسُ؟
كلاّ! آهِ كلاّ! مَنْ يُدين الآن؟
سُلالةٌ من الأفاعي؟ زائفةٌ جبَانةٌ
لم تَعُد الكلمةُ الأسْمَى تَترَدَّدُ
علَى الشّفَاهْ
آهِ باسْمِ . . .
أدْعُوكَ
أن تَنزلَ، أيّها الشّيْطانُ العَرِيقْ!

أوْ   تُنْزِلَ
بطَلاً

أو
حِكْمةً

إلَـــى

حقُول إليزْيُوم

هُناك أجِدُ

في اتّجاهِكِ، يا آلـهـةَ الفناءْ

هناكَ، دْيُوتيمَا الأبطالْ.

دَعيني أتغنَّى بكِ

لكنْ لاشيْءَ غيرُ الدّمُوعْ.

وفي ليْلٍ أَشْـرُدُ فيه، أرَى عيْنَكِ الصافيةَ

تـنْطفـئ!
أيتُها الرّوحُ السَّماويّةْ.

في الغَابَة

أيِّلٌ نبيلٌ أنتَ .

لكنَّ الإنْسانَ يُقيمُ في الأكْواخِ، مُتلفِّعاً بعبَاءاتِ عَارِه، يُمعنُ في التَّقوْقُع علَى ذاتِه، وُيسرفُ في الاسْتجابةِ لذاته. وُيدركُ أنَّ عليه أن يَرْعى رُوحَه كما تَرْعى الكاهِنةُ الشُّعلةَ الإلَهيّةَ. ولذلكَ وُهِبَ الإنسانُ الطَّيْشَ، ووُهِبَ القُدْرةَ علَى أن يُخفِقَ ويُفْلِحَ. مَخلوقٌ شبيهٌ بالإلَه. ووُهبَ اللغةَ، أخْطرَ ما يَملكُ، لكيْ يُنشئَ ويُحطِّمَ، لكَيْ يَفْنى ويَعودَ إليْها، إلى السّيدةِ والأمِّ الخالدةِ، ولكيْ يُقدِّمَ الشَّهادةَ علَى كَيْنونَتِه، بعدَ أنْ وَرِثَ وتَعَلَّمَ مِنها أكْثرَ صِفاتِها أُلوهيةً : الحُبَّ الحَافظَ كلَّ شيْءْ.

شَذَرات

لاَ يَمْكُثُ في أيٍّ مكَانْ.
لا عَلامةَ
تَرْبطُ.
نَادراً
مَا يَحْفَظُهُ وِعَاءْ.

الطَّيباتُ ثلاثٌ.

لاَ رغبةَ لي
في أنْ أُحَطِّمَ أصنامَكْ.

وَصَوْنُ قُدسيةِ القُرْبانِ
يَحْفَظُ تَماسُكَ الرُّوحِ، هِبةَ الرَّبِّ،
رَفَيقاً يُنيرُ لنَا الحَيَاةَ
حتّى النِّهايَةْ .
إنَّها يَقيناً شيءٌ مُختَلِفْ

التَّمييزُ
حَسَنٌ. لِكُلٍّ
ما يَخُصُّهُ.

الوَرقةُ السّوْداءُ
والثَّمرةُ
كانتْ ظاهرةً.
وَ التُّرْبَةُ السُّوريّـةُ
مُتَشَقِّقَةٌ ، وَألْسنَةُ اللَّهبِ تَحتَ القدَميْنِ
تَلْسَعُ
والغَثَيَانُ يَغْشَانِي
بسَببِ الجُوعِ العاصفِ

فْريدْريشُ[1] وَخَدُّهُ المَلْسُوعُ
أيْزنَاخُ
الشّهيرْ

باربارُوسَا[2]
كُونْرادِينَ[3]

اوجُولينُو[4]-
يُوجِيْنيُوسُ [5]
سُلَّمُ يَعقوبَ
وَداعُ الزّمان
وفي المكَان يَتِمُّ الفِراق
ذلكَ شأنُ محمّد[6]، و رينَالْدُو
و بارْبُوسَا[7]، وبصفته مُتحرّراً

---

1. Friedrich Langrave (1237 -1324) الذي شجعه الجبليين اللومبارديين، بعد وفاة كونرادين (1268)، على مواجهة تشارلز أنجو.
2. فريدريك الأول (1123- 1190) أعظم ملوك سلالة هوهنشتاوفر ويعتبره هلدرلين أهم أبطال سوابيا.
3. Conradin آخر سلالة هوهنشتاوفر توفي في ناپـولي سنة 1268 وهو في السادسة عشرة من عمره.
4. Ugolino الكنوت الجبيليني الذي قدمه دانتي في النشيد 33 من الجحيم
5. Eugenius أمير ساڤـوي (1663- 1736).
6. اسمع بوق الحارس ليلا. بعد انتصاف الليل، حوالي الساعة الخامسة.
7. محمد ورينالدو وباربوسا شخصيات في Gerusalemme لـ Tasso. وكلها تذكر بالحملات الصليبية.

الأمبراطُورْ هاينريشْ.[8]
لَكِنَّنَا نَخْلطُ
تَواريخَنَا
ديمتريُوس پّـولْيوركيتْيس[9]
بطرسُ الأكبر[10]
عُبُورُ
هَاينْريش الألبَ وَمِن يَديْهِ
تَناوَلَ الشَّعْبُ
الطَّعامَ والشَّراب، وابْنُهُ كُونْرادْ ماتَ مَسْموماً
مِثالُ المُجدِّدِ
المُصْلِح
كُونْرادينَ، وَهَلُمَّ...
كُلُّ ذَلِكَ دَالٌّ
باعْتبارِه عَلاقاتٍ.

---

8. هاينريش الخامس، إمبراطور ألمانيا. عبر جبال الألب في طريقه إلى Canossa. توفي ابنه البكر Conrad سنة 1101.
9. أحد خلفاء الأسكندر المقدوني.
10. قيصر روسيا (1672 - 1725).

تنْدي[11] شتُرومْفلد[12] سيُمونيتَا[13]

تُويْفِنْ[14] أميكْلاَ[15] أبيرُيو[16] على النَّهرِ

فَوْجَا العَائلة ألنكْسْتُرو[17]

الاسمُ منْ هُناك أمالاَسُونتا[18] أنتيجُون

أناتِيمُ أرديِنْجهلّوس[19] السُّوربون كلِسْتين[20] وإنُوسِنْتيوسَ[21] أوْقَفَ

البحثَ ونَعتَهـا (نَعتَ السُّوربون)

بحضَانَةِ الأسَاقفةِ الفرنْسيِّين ـ

ألوسيا سييجا [22] differentia vitae

Urbanae et rusticate

---

11. Tende : ولاية سابقة في منطقة Piedmont . وهي الآن مدينة فرنسية في جبال الألب على الحدود الإيطالية.

12. Strömfeld : يوهان كارل فون شترومفلد، جنرال في الجيش السويدي أثناء حكم الملك تشارلز الثاني عشر.

13. Simonetta : لعل الإشارة إلى أحد أفراد عائلة سيمونيتا ، وهي عائلة شهيرة بدورها في الحياة والآداب الإيطالية خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر.

14. Teufen : مدينة سويسرية كانتون Appenzell قد تكون مرتبطة بإقامة هلدرلين في Hauptwi (1801).

15. Amyclae : بلدة إغريقية قديمة بالقرب من سبارطة، مشهورة بطائفة تعبد أپولو. وهي مقر إقامة الملك Tyndareos، والد هلين.

16. Averio : مدينة برتغالية.تقع على البحر عند مصب نهر Vouga ويبدو أن جغرافية هذه المدينة مقترنة لدى هلدرلين بجغرافية بوردو.

17. Alencastro : حسب مصدر هلدرلين (Zedlers Lexicon) اتخذت عائلة ألنكاسترو لقب النبالة من مدينة Averio.

18. Amalasuntha: ملكة القوط الشرقين (535-498). أكسبتها معرفتها الواسعة وولاؤها لقيم روما الثقافية عداوة الطوائف القوطية المنافسة. تم نفيها إلى بحيرة Bolsena في توسكانيا. وقتلت في حمامها.

19. Ardinghellus : إشارة إلى مؤلف هاينسه Ardinghello und die glückseligen Inseln (1787).

20. Celestine : البابا سليستين الخامس (1290-1215).

21. Inozentius : البابا إنوسنتيوس الرابع (؟ - 1254)

22. Aloisia Sigea : Louise Siega de Velasco (1530-1560) مشهورة في إسبانيا والبرتغال بسعة معارفها؛ مؤلفة Dialogus de defferntia vitae rusticate et urbanae.

نهرْ في كاپُوديكَا [23]

ڤالتيلينُو[24] شونْبرج[25] سكُوتْس[26] شونبرج تنريفِي[27]

سُولاكُو[28] ڤنارفو[29]

منطقةُ

ألمْپُوس. ڤايسبرن في هنْغَارْيَا

السُّفلَى. ثمُورا[30] يا كَا[31] جنْوا لارِيسَا[32] في سُورْيَا

حينَ تَتَعالَى ألْسِنَةُ اللَّهب فَوْقَ الدَّاليةِ

التي تَبْدُو في سَوادِ

---

23. Thermodon : نهر ينبع من جبال Cappadocia في إسبانيا الصغرى ويصب في البحر الأسود. تم ذكره في تحولات أوفيد.

24. Valtelino : أي Valtellina، منطقة جبلية في شمال لومبارديا، على الحدود السويسرية.

25. Schönberg : إسم مكان مألوف في الألمانية. ولعله يشير إلى بلدة في غابة Bayrischer على تخوم بوهميا.

26. Scotus : قد تكون الإشارة هنا إلى الفيلسوف Erigena (؟- 875)، أو إلى عالم اللاهوت Duns Scotus (؟- 1308).

27. Tenerife : إحدى جزر الكناري.

28. Solaco : سلسلة جبلية في الهنديوراس. أو ربما تحريف لـ Soulac، بلدة تقع على حافة شبه جزيرة Médoc بالقرب من بوردو.

29. Venarfo : بلدة في إقليم Campobasso الإيطالي. أسسها، كما تروي الأسطورة، Diomedes وهي مشهورة بالزلازل.

30. Zamora : عاصمة الإقليم الإسباني المعروف بنفس الإسم.

31. Jacca: أي Jaca بلدة إسبانية في إقليم Huesca عند سفوح البرانيس.

32. Larissa: عاصمة ثيسالي.

الفَحم عندَ مَوْسم
الخريف، فَسيقانُ
العُنفوانِ تَتنفسُ النِّيرَانَ
في ظِلِّ الأعَناب.
لَكنْ، شَيءٌ جَميل أنْ تَتَفتَّحَ
الروحُ وهذه الحياةُ القصيرة
والسَّماءُ تَصيرُ بَيْتَ فَنَّانٍ
كُلُّ لَوحاتِهِ مَعروضَةٌ.

قَريباً منْ طيبةَ ومنْ تيريْزيَاسْ!
أجِدُ الأرضَ أشَدَّ عُرْياً مِمَّا ينْبغي.

مثلَ شَخْصٍ يَلْتَهِمُ النَّاسَ
مَنْ يَعيشُ بدونهِ

(الحُبّ)

وإذْ يَصِفُ الظِّلالَ، تَطيرُ
عيْناهُ مُغْتاظَتَيْنِ

بوُضوحٍ تامّ
هذه المرَّة، لَكنْ حَوْلَ
المعَابدِ غَالباً ما يَحْدثُ شيءٌ مّا، مُستحيلٌ
أنْ تَفهمَ هَذا، لَكنْ حينَ يُجازفُ
رَجُلٌ حُرٌّ وَيَمْضي في طَريقٍ مّا، يَجدُهُ
في انْتظارِه هُناكَ.

مُهْرةٌ وَدُوقٌ، وَجعٌ طوالَ
العُمْرِ لا يَنْتهي، كالْعنادلِ حينَ
تُغَنِّي لَحْنَ الوطَنِ المُطْربَ، أوْ إوَزَّةِ الثّلجِ
تُحَدِّدُ النَّغمةَ، عالياً فَوْقَ
الأرْضِ، تَوَّاقَةً،

صُفوفٌ منْ سَوْسَناتٍ زرقاءَ
ألَديْكَ مَعرفَةٌ بعَملِ
الفنَّانينَ وَحِيدٌ أوْ مِثْلَ
أيِّلٍ يَهيمُ في الحَرِّ.

حيث يُنشَرُ
رَمادُ الرُّفَات،
ويُحرِقَ كلَّ شيءٍ على نارِ الحَطَب.

مِنَ الصَّيْحةِ الوَثَنيّةِ
«أَيُّــو بَاخُوس»، دَعْهُمْ يَتعلَّمونَ مَهارةَ اليدِ
ومن نَفْسِ الصَّيْحَةِ، أن يَتَقدَّموا
ويَنْتقمُوا. الثَّأْرُ يَجبُ، حقّاً،
أن يُؤْخَذَ. ونَدْعُو الرَّبَّ
أنْ لا يَجْلدَنا بالأمْواجِ
وَنَحْنُ
عُراةٌ. حَقّاً
كَفَرةٌ
نَحْنُ
مِثلُ عَوامٍّ
يُغويهُم الرَّبُّ فَيَحْسَبُونَ أنْفسَهم نُبلاءْ،
لَكنَّ هناكَ شَريعةً تُحرِّمُ التَّفاخرَ بهذا. لَكنَّ الفُؤادَ
يَرى الأبْطالَ. مِنْ حَقِّي

أنْ أحْكِيَ عنْ وطني. لا يُنْكِـرَنّ
أحَدٌ هذا عليَّ. فَبنَفْسِ الْحَقِّ
يَصْنعُ النَّجارُ
صَليباً.

السَّيفُ
والسِّكينُ المَخْفيِّ، حينَ
يُشْحَذُ
فَيَظَلُّ كَليلاً،
لَكنْ نَدْعُو أن لا يَضيقَ
بنَا وَطَنُنا. الـــ ثَقيلُ
أنْ نَتَمَطَّى، فَنَمُدَّ أقْدامَنا وكذا أيْدِينَا.
لا نُريدُ غَيْرَ الهَواءْ.

مُضحكٌ وَحَقيرٌ
أنْ تَتَغَنَّى حينَ
تَتَحَقَّقُ أشَدُّ آمالِ المرْءِ جُرْأةْ.

إلَى تَسِيمّر*

خُطوطُ الحَياة متنوّعةٌ تَنوُّعَ الطرقِ
وتُخُوم الجبال. كينُونتُه ها هُنَا
يُكمِّلُهَا هناكَ إلَهٌ، يكمّلُها بالتناغُمِ،
وبالجزَاءِ الأبديِّ، وبالسّلامْ.

حينَ تَنْسكبُ منَ السّماءِ مَسَرَّةٌ
أشَدُّ إشراقاً، تَدْنو منَ البشَر بهْجةٌ
تجعلُهُمْ يَتعجّبون ممّا هُوَ
مرْئِيٌّ، أوْ عَال، أوْ متناغِمٌ:

يا لَلْجَمَالِ إذْ يمتزجُ الغناءُ المُقدَّسُ بتلكَ البهْجةِ!
لَكَمْ يَضحَكُ القلبُ إذْ يَستطردُ في تَراتيلهِ
عنِ الحَقيقةِ التي تَبتهجُ في صُورةٍ۔
علَى الدَّرْبِ الذي تَشقُّ فيه الأغنامُ

طريقَها، والذي يُقرِّبُها منَ الغَابةِ
المشْرقة. لكنَّ الحقُولَ التي تَكسوهَا
خُضرةٌ لا يَشوبُها شيءٌ
تَبدُو مثل مَرْجٍ عادةً مَا

*. Zimmer

يُـجاورُ الغابَة المظلمَة. هناكَ،
في الحقُولِ أيضاً تَظلُّ هذه الأغنامْ.
القممُ الـمُـحيطةُ، ذُرًى عاريّةٌ،
يُـغـطِّـيـها صنوبرٌ نادرٌ وسنْديَانْ.

هناك، حيثُ تتراقصُ مويْجاتُ
النّهر، فَـيَـسْـعـدُ بتَملِّيها كلُّ
شخصْ عابر، هناكَ تتعالَى الجبالُ
النّاعِمةُ وتتَسَامقُ الدّوَالي.

الدَّرَجُ، حقّاً، تتوالَى في مُنْحَدر شَاهق وسْط عناقيد
الكَرْم، وفوْقَها تَنتصِبُ الأشْجارُ المثْمرةُ مُزْهِرةً،
ويَتوانَى العِطرُ فوقَ حَواجزِ الأشْجَارِ،
حيثُ يَتَبَرْعَمُ البنفسجُ الـمُـحتَشِـمْ؛

لكنَّ المياهَ تتقاطرُ بطيئةً، والـحَـفـيـفَ
الخافتَ يَهمسُ طوال اليوْم: علَى أنَّ
القُرى هناكَ تَستكينُ
صامتةً طوالَ الظَّهيرةْ.

إلَى تْسِيمّر

عنِ الإنْسانِ أقولُ : إنْ يَكـنْ عفيفاً وحكيماً،
فماذا يَنقصُه؟ أتَـنـمُـو علَى هذه الأرضِ
سُنبلةُ قمْحٍ أوْ عُنقودُ كَـرْمٍ
أنْـضجُ من كلِّ العناقيدْ

يُـمكنُ أن يُطعمَهُ؟ وإليكَ معْنَى هذَا:
الصديقُ غالباً هُو المحبُوبُ، الفنُّ كثيرٌ.
أيها العزيزُ، الـحقَّ أقولُ لكَ: روحُ
دِيدَالُوسَ روحُـكَ وروحُ الغابة روحُك.

الصّيْف

لا يَزالُ بوُسْعكَ أنْ تَرى هذَا المؤْسمَ
مُروجُ الصَّيفِ بإشْراقِها ولُطفِها تَتَباهَى.
وخُضْرةُ المُروجِ، وَضَّاءةً، تَمْتَدُّ
حيثُ الغَديرُ بكلِّ مُوَيْجاتِهِ يَنْسابْ.

هكذا ترى النَّهارُ يَشردُ عبر الوِديانِ والجِبَالْ،
يَتهادى مُزْداناً بألَقِ شُعاعِهِ ولا شَيْءَ يَعْتَرِضُه،
أمَّا الْغُيُومُ فَتَنْسابُ هادئِةً في الأعَالي
فَيَبْدُو العامُ مُتَباطِئاً في سَنَاهْ.

29 مارس 1940

خادمكم المتواضع والمطيع

سكاردانللي

الـخَريف

خُرافَات ترحَلُ عَن الأرْض، خُرافاتٌ عن رُوح
ولَّتْ والآن تعودُ، تلك الخُرافات تؤُولُ إلَى البشرْ.
وَنَتَعَلَّمُ نَحنُ الْكثيرَ من الزَّمنِ
الذي يَسْتهْلك نَفْسَهُ دُونَ تَأَنٍّ

لا تَتَخلَّى الطَّبيعةُ عنْ صُوَرِ الماضِي،
وإذْ تَصيرُ الأيَّامُ في أوْج الصَّيفِ شاحبةً،
يَعُودُ الخَريفُ إلَى الأرْضِ،
وَتَتَجَمَّعُ ثانيةً رُوحُ الأمْطارِ في السَّمَاءْ.

انْتَهَى الكثيرُ في فَتْرةٍ وَجِيزَةٍ؛
والْقَرَويُّ خَلْفَ مِحْراثِهِ
يَرى العامَ يَميلُ نَحْو نِهايَةٍ سعيدة،
في مثلِ هَذهِ الصُّورِ يَكتملُ يَومُ النَّاسْ.

فَلَكُ الأرضِ المُرَصَّعُ بالصُّخُور
لا يُشبهُ غَيْمَةً تَفْقدُ نَفْسَها في اللَّيل؛
ها هُوَ يَتَجلَّى نَهاراً ذَهبيّاً
فينالُ رضَا الكمالْ

الشّتَاء

حينَ تَختَفي الآنَ صُوَرُ الشِّتاءْ
وَتُصْبحُ ماضياً، تُقبلُ فترةُ الشّتاءْ ؛
الحَقلُ خَالٍ، والمَشهدُ يَبدُو ألْطفَ،
تَهُبّ العَواصفُ وتَهجُمُ الأمْطارْ.

تَبْدو نِهايةُ العَام مثلَ يَوم عُطْلَةٍ،
كأنّها نَبْرةُ سُؤَالٍ يَنْشُدُ الاكْتمالَ؛
حِينَئذ يَظْهَرُ الرَّبيعُ. هكذا تُشْرِقُ
الطَّبيعةُ سَنِيَّةً على الأرْضْ.

24 أبريل 1849

خادمكم المتواضع والمطيع
سكاردانللي

الرَّبيع

حينَ يُقبلُ الرَّبيعُ منَ الأعْماقِ
ويَقتحمُ الحَياةَ، يَتَعجَّبُ النَّاسُ،
وتَتَعالى الكَلماتُ منْ ذَكاءِ أذْهانِهمْ،
تَعُودُ البَهْجَةُ وَيَعُمُّ الاحْتفالُ بالشِّعرِ والغِناءْ.

تَناغُمُ الفُصُولِ يُوقظُ لدَى الحياةِ إحْساساً بذاتِها، هكذا تَقترنُ
الطَّبيعةُ والرُّوحُ أبداً بإدْراكِنا، ويَتوحَّدُ في أذْهاننَا الكَمالْ؛
وَهَكذا يَنْبَعِثُ لدَى أشْياءَ كَثيرةٍ إحْساسٌ بذاتِها،
وَيَنْبَعِثُ ذلكَ الإحساسُ لدَى أغْلَبِها بفضْلِ الطَّبيعةْ.

24 ماي 1758

خادمكم المتواضع والمطيع

سكاردانللي

[في الزُّرقَة البديعَة...] (*)

في الزُّرقةِ البَديعةِ يُزهرُ بُرجُ الكَنيسةِ بسَقْفِهِ المعْدنيّ. حوْله يَحومُ صيَاحُ العصافير، وبه تُحيطُ زرقةٌ لاَ حدَّ لما تُثيرهُ من أشْجان. الشَّمسُ في الأعالي تَتَباطأُ فوقها وتُلَوِّنُ صفائحَ القصدير، لَكنَّ ديكَ الرَّيح على قِمَّتِها يَصيحُ صامتاً . لَوْ يأتي الآنَ أحدٌ تحتَ الجرس، لو يُقبلُ هابطاً تلكَ الدُّرَج، لَبدتِ اللَّوحةُ ساكنةً، فَلُدونَةُ الكائنِ البشرِّي تبدُو واضحةً وإنْ كانتْ هيئتُه مُنعزلةً هكذا. تبدو النوافذُ التي تُقرَعُ وراءَها الأجراسُ بواباتٍ تُفضي إلى البَهاءِ. تَبدو البواباتُ هكذا لأنَّها لاَ تزالُ مُطابَقةً للطّبيعة، فهْيَ شَبيهةٌ بأشْجَار الغَاب. لَكنَّ الصَّفاءَ أيْضاً بَهاءُ. بالدّاخل تُشكِّل من التَّنوعِ رُوحٌ وقَّادَةٌ . لَكنَّ هذه الصُّورَ في غايةِ البسَاطة، وهي من القُدْسيَّةِ بحيْث يَتهيبُ المرءُ حقّاً من وَصْفِها. لَكنَّ الآلِهةَ السّماويةَ، وهْيَ

*.نسبة هذا النص إلى هلدرلين غير ثابتة، لكنه بدون شك مستمد من أقواله أثناء فترة جنونه. والنص مأخوذ من رواية Phaeton (1823) لفلهلم فايبلنجر Wilhelm Waiblinger. وقد كان فايبلنجر قريبا من هلدرلين واستفاد من معرفته به في بناء شخصية النحات Phaeton. وورد في مذكرات فايبلنجر أنه كان مطلعا على أعمال هلدرلين غير المنشورة. وقد قدم لهذا النص المقتطف من روايته كما يلي: «... كان في ذلك الوقت يملأ بالكتابة كل ورق يحصل عليه. وهذه بضع صفحات من أوراقه، وهي توحي بفظاعة الاضطراب العقلي الذي كان يعاني منه. وقد كتبت هذه الأوراق على شكل أبيات بأسلوب بندار». والأرجح أن فايبلنجر اقتبس هذا النص من قصيدة أو قصائد كان قد تسلمها من الشاعر.

أبداً خَيِّرَةٌ، تَحظى، كالأثرياء، بكلِّ الأشْياءِ في نفْس الآن؛ تَحظَى بالفَضيلة والمتْعَة. فَلْيقْتدِ الناسُ بهَا. أَبوُسْعِ الإنْسانِ، حينَ تكونُ الحياةُ كلُّها شِدَّةً، أن يتطلعَ إلى الآلهةِ ويقولُ: أنَا، أيضاً، أَوَدُّ أن أكونَ بهَا شبيهاً؟ أَجَلْ. بوُسْعِ الإنسانِ أن يُقارنَ نفْسَه بالآلهة ويَسْعدَ للمقارنة مادام اللُّطفُ، واللُّطفُ طاهرٌ، مُقيماً بقَلْبه. هَلِ الرَّبُّ مَجهولٌ؟ أَيتجلَّى سَماءً؟ منْ هذا أنا وَاثِقٌ. وهذا هُو مقْيَاسُ الإنْسَان. شاعراً يُقيمُ الإنسانُ على هذه الأرض، مع أنَّهُ مُثْقلٌ بما يَملِكُ. لَكنْ، إنْ جازَ لي أن أقولَ هذا، ليسَ ظَلامُ اللَّيلِ، رغمَ كلِّ النجومِ، أصْفى منَ الإنسانِ الذي يُدْعَى صورةَ الربّ.

هلْ هُنَاكَ مقياسٌ علَى الأرْض؟ كَلاَّ، ليْسَ هُناكَ منْ مقْياس. فَعَوالمُ الخَالقِ لا تَعوقُ أبداً قُدومَ الرَّعْد. الزهرةُ أيضاً جميلةٌ لأنَّها تَتفتحُ في ضيَاءِ الشَّمس. وغالباً ما تَكْتشفُ العينُ في الحياة كائناتٍ يُمكنُ أن تُعَدَّ أبهى منَ الزُّهُور [illegible]، كَمْ أنا مُدرِكٌ لذَلك! فهلْ يَسُرُّ الربَّ أنْ تَنْزفَ أنتَ، أنْ تَنْزفَ رُوحُك كما يَنْزِفُ جَسَدُك؟ هل يَسُرُّهُ أنْ تَفْنَى أنتَ فناءً مُطلَقاً؟

لكنَّ الرُّوحَ، في اعْتقادي، ينْبغي أنْ تَظلَّ طاهرةً، وإلاَّ بَلغَ

النَّسرُ الطائِرُ مَقامَ الـرَّب بالمدائح وبأصْواتِ آلافِ الطُّيور. إنِّه الـجَـوْهَر، الصُّورَة. أيُّـها الـجُـدَيْـولُ الجميلُ، إنِّكَ تبدُو مُـؤَثِّـراً وأنتَ عَـبْرَ الـمَـجرَّةِ تَـتَـرقْرقُ بهذا الصَّفاء. صَافٍ أنتَ كأنَّكَ عَيْنُ الإلـه. أعرفُكَ جيّداً، لَكنَّ الدُّموعَ من عيْنيَّ تتدفّق. وأرى حياةً صافيةً تَـزهرُ منْ حوْلي، تُزهرُ أشْكالاً من أشْكالِ الـخَـلْـق، لأنَّـني أُقارِنُها باليمَامَاتِ المتوحّدةِ في فِـنـاءِ الكَنيسَة. لَكنْ يبدو أنَّ ضَـحِـكَ النَّاس يُـحْـزِنُـني، فأنا شَفيقٌ. هَلْ أودُّ أنْ أصيرَ نَـجـمـاً مُـذَنَّـباً؟ أظنُّ أنَّني أُريدُ ذلك. فَلِهذِهِ النُّجومُ سُرعَـةُ الطُّيور، إنِّها تُزهرُ ناراً وتُـضاهي الأطفالَ في الصَّـفـاء. ليسَ بـوُسْع الطَّبيعة البشريّةِ أنْ تَـتَـطـاولَ فَـتَـشْـتَـهـيَ أكثرَ منْ ذلكَ. صَـفـاءُ الـعِـفَّـةِ أيضاً جَـديرٌ بالمديح، جَديرٌ بأنْ تَـمـدحَـهُ الروحُ الوَقورُ الـحَـائِـمـةُ بين الأعمدةِ الثَّلاثةِ في الحديقة. ينبغي أن تُـكَـلِّـلَ عَـذْراءُ جَـميلةٌ هَامتَها بزهُورِ الآسِ، لأنَّ أحَاسيسَها بَسيطةٌ بَساطةَ طَبْـعِـهـا. لَـكنَّ زُهورَ الآسِ ينْبغي أنْ تُلتَمسَ في بَلادِ الإغْريق.

لَـوْ حَـدَّقَ شَـخْـصٌ مَا في المرآة، لَـوْ حَـدَّقَ في المرآةِ رَجُـلٌ، ورأى فيها صُورتَـه كأنَّها لوْحةٌ مرسُومَة، لَـكـانَـت الصُّورةُ شَبيهةً بالرَّجُل. لِلصُّورةِ عيْنَان، فيمَا النُّورُ للقَمَر. لَـعـلَّ لِلملكِ

أوديبَ عيناً زائِدة. آلامُ هذا الرَّجلِ تبدو فوقَ الوَصْف، فهي عَصيَّةٌ على التّعبير، عَصيَّةٌ علَى الكَلام. إن قَدَّمَتِ المسرحيةُ ما يُشبهُ هذا، فتلكَ هيَ العِلَّةُ. لَكنْ ما ذا يَنتابُني إنْ أنا الآنَ فَكَّرتُ فيك؟ كالغُدْرانِ يَجرفُني بعيداً طَرَفُ شيْءٍ مَا، شيءٍ مُتَرَام كأنَّه القَارَّةُ الأسْيوية. هذا البَلاءُ، طبعاً، مَسَّ أوديبَ أيضاً. وَاضحٌ أنَّ ذلكَ هُو السّببُ. فهلْ عَانَى هرقلُ بدوْره هذَا البلاء؟ فعْلاً. والتَّوأَمانِ دْيوسْكُوري هلْ عانَيَاهُ، في صَداقتِهما، أيضاً؟ فأنْ تُحاربَ الرَّبَّ، كما فعلَ هرقلُ، ذاكَ هُو البلاءُ. وأنْ تَنْخرطَ في الخُلودِ وَسَطَ غِبْطَةِ هذه الحياة، ذلكَ أيضاً هُو البَلاءُ. لَكنْ، هذَا أيضاً هُو البَلاءُ. أنْ يُغَطِّيَ الكلفُ هكَذا جِلْدَ المرءِ، أنْ تَعُمَّ الجسدَ ألفُ ألفِ وَصْمَة! الشَّمسُ الجميلةُ تُسَبّبُ ذلك: فهْيَ تُنْشئُ كلَّ الأشياء. إنَّها تَقودُ الفِتيانَ على دُروبهم وتُغريهم بأشِعَّتِها كأنَّها تُغْويهم بالوُرود. البَلاءُ الذي تَحمَّله أوديبَ يَبدُو شَبيهاً بهذَا، شَأْنُهُ شَأْنُ رَجُلٍ تَعيسٍ يَشكُو لأنَّهُ مَحْرومٌ منْ شيءٍ مَا. يا ابْنَ لايُوسَ، أَيُّهَا البائسُ الغريبُ في أرْضِ الإغْريق! الحَياةُ مَوْتٌ، والمَوْتُ حياةْ.


الدار البيضاء

